

التفكير والإعتبار

بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

مع ذِكر أكثر من (٤٠) حادثة تاريخية كبرى من الماضي
والحاضر وذِكر ما فيها من العِظة والعبرة

تأليف الشيخ

عبد الكريم بن صالح الحميد

حفظه الله تعالى

٢ عبد الكريم بن صالح الحميد ، ١٤٢٦هـ

فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميد ، عبد الكريم بن صالح

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار . /

عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد - بريدة ،

١٤٢٦هـ

١٣٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢-٦١٢-٤٩-٩٩٦٠

١ - الوعظ والإرشاد أ . العنوان

١٤٢٦ / ٥٧٦٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦ / ٥٧٦٥

ردمك : ٢-٦١٢-٤٩-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه مجاناً
فجزاه الله خيراً ونفع به

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

للاطلاع على المزيد من كتب الشيخ أنظر صفحته على موقع (صيد الفوائد) على شبكة الإنترنت :

<http://saaid.net/Doat/alhomaidd/index.htm>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ..
أما بعد :

فقد كتبت سابقاً في موضوع الكسوف والخسوف وأن كَوْن ذلك يُدرك علم وقته قبل وقوعه بحساب سير الشمس والقمر حيث يَبين ذلك علماؤنا مثل ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله - .

وكان المراد من ذلك : أولاً : بيان خطأ من أنكر العلم بإدراك ذلك قبل أن يكون .

والثاني : أنه لا يُعارض ما ورد في الشرع من أنه مما يُخَوِّف الله به عباده .

ولمَّا رأيت أن الأمر في وقتنا هذا تفاقم وعُظُم بصورة لم يسبق لها مثيل ، وذلك من جهة ظن التعارض بين معرفة أسباب الآيات وبين كَوْنها مما

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ ، مِمَّا ظَهَرَتْ لَهُ آثَارُ سُوءٍ ، وَذَلِكَ بَعَزْلُ الْمَالِكِ سُبْحَانَهُ عَنْ مَلِكِهِ وَعَنْ تَصَرُّفِهِ فِيهِ وَتَدْبِيرِهِ لَهُ ! .

وأَكْبَرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ مَعَ كَثْرَةِ مَا تَتَابَعَ فِي زَمَانِنَا مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمَوْجِبَةِ لَخَوْفِ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَهُ إِلَّا أَنَّهُ مَعَ عَدَمِ الْخَوْفِ فَلَا ذِكْرَ لِلَّهِ أَيْضاً ! ، وَكَأَنَّ الطَّبِيعَةَ تَتَصَرَّفُ بِنَفْسِهَا فَضْلاً عَنِ الْإِقْلَاعِ عَنْ مَوْجِبَاتِ سَخَطِهِ وَالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَحْصُلُ فِي الْمَاضِي ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ ^(١) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيراً ﴾ ^(٢) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَوْفَ هُوَ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - : (مَسْبُوقٌ بِالشُّعُورِ وَالْعِلْمِ ، فَمُحَالٌ خَوْفُ الْإِنْسَانِ مِمَّا لَا شُعُورَ لَهُ بِهِ) ^(٣) .

وَهَذَا هُوَ الْفَارَقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّلَفِ ، فَالْقُلُوبُ الْيَوْمَ قَسَتْ وَأَظْلَمَتْ ، فَضَعُفَ الشُّعُورُ بِالْمَالِكِ الْمُتَصَرِّفِ فِي مَلِكِهِ سُبْحَانَهُ أَوْ عُدِمَ فَيَصِيرُ مِنَ الْمَحَالِ خَوْفُ الْإِنْسَانِ مِمَّا لَا شُعُورَ لَهُ بِهِ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعَيْبَةَ الَّتِي دَهَتْ الْقُلُوبَ عَنْ مُحَرِّكَ الْكُونِ وَمُسْكِنِهِ هِيَ

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

(٣) مدارج السالكين ، ١ / ٥١٥ .

بسبب التشبه بالكفار حيث يتكلمون عن أسباب مقطوعة عن المسبب ،
وأدواؤهم قد طبقت الأرض كلها ، والفتنة بهم أصبحت لا تشبه الفتن وهم
معطلة يرون الكون لا خالق له ^(١) ! .

وإذا كان الخوف - كما قال العلماء - يتوَلَّد من تصديق الوعيد ،
وذكر الجناية ، ومراقبة العقوبة ؛ فإن أولئك الكفار وَمَنْ قَلَّدَهُمْ فِي مَعَزِلِ
عن الخوف المثمر للتوبة والإنابة ، أما الخوف البهيمي فلا يُمَيِّز الإنسان عن
هذا النوع .

ولذلك يقول الإمام الجنيد عن الخوف : (أنه توقع العقوبة على مجاري
الأنفاس) .

وقال أبو حفص النيسابوري : (الخوف سَوَّطَ اللَّهُ يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ
عن بابه) .

وقال : (كل أحد إذا خَفَتَهُ هَرَبَتْ مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّكَ إِذَا
خَفَتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ) .

(١) وهذا شاهد ، وإلا فالذي ركبته الأمة من سنن أهل الكتاب المنهي عنها - وهو من موجبات السخط
والعقوبة - ظاهر غاية الظهور ، وقد وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصْفًا دَقِيقًا بَلِغًا ، ووقع كما وصف ! .
ووالله لو أنه أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ سَنَنِهِمْ شِرًّا بَشِيرًا ، وذراعاً بذراع ، وحذو القذة بالقذة .. ونحو ذلك من الوصف
البلغ الذي ورد في أحاديث التشبه بهم لقلنا : " هذا لَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ وَلَا يُطَاقُ ! " ، ولكن انظر ما الذي حصل
اليوم ، وهو من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته .

التفكر والاعتبار
بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وقال أبو سليمان الداراني : (ما فارق الخوف قلباً إلا خَرِبَ) .

وقال ذو النون : (الناس على الطريق ما لم يَزِلْ عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق) .

وقال ابن تيمية : (الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله) انتهى .



الفرق بين السلف والخلف في الخوف من الله تعالى

لقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تاريخه ، وذكر غيره من السلف والمؤرخين ما حدث في أزمانهم وقبلها من الآيات ، وفي غالبها يذكرون ما يُقارنُها ويعقبها من نتائج مفقودة في عصرنا ؛ فالناس ينكسرون ويدلون لربهم ويضجون إليه بالتضرع والدعاء ، وأهل المعاصي الظاهرة يُكسّرون آلات لهوهم ويهريقون خمورهم ، ويلجأ الناس إلى المساجد بكسرة وذلة وخوف ؛ وهذا مطلوب ومحمود .

وبالجملة .. فإن أحوالهم تتغير إلى خير ، وانتقال مما يسخط الله إلى ما يُرضيه ، وهذا من حكمة إحداث الله الآيات لعباده .. قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبَاسِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٥٨﴾ ۝ ﴾ (١) .

والسبب أن أحوالهم كانت قريبة من الفطرة وصفائها والشرعة

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وطهارتها ، ولذلك يَقْرُبُ عَوْدُهُمْ إلى ربهم مع بيان منكرات الشريعة حيث إنه ما غشاهم اللَّبْسُ الذي يُضعف الفرقان الديني أو يُزيله بالكلية ويقبله .

أما أحوالنا فقد أصبحت مُعَقَّدة ، واللَّبْسُ قد تَمَكَّنَ ، والفهوم كدِرَة ، والفطر مُجْتَالة ، والشبهات الكثيرة واردة من الفجرة على كل جانب من جوانب الشريعة ، يوحىها إليهم الشيطان .

وإنَّ تَرَحُّلَ الخوف من القلوب لنذير شرٍّ ، وإن هذا لظاهر فينا ظهوراً بيّناً دلت عليه آياتٌ عديدة جاءتنا ولم تُلجئنا إلى ربنا بخلاف ما كان عليه السلف من عظيم صلتهم بخالق الكون ومُدَبِّرِهِ - سبحانه - في رَغَبَاتِهِم ورَهَبَاتِهِم .

وحينما زلزلت الكوفة في وقت عبد الله بن مسعود قال - رضي الله عنه - : (إن ربكم يستعيبكم فأعتبوه) ^(١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (استعاب الله عبده أن يطلب منه أن يُعْتَبَهُ ، أي يزيل عُتْبَهُ عليه بالتوبة والاستغفار والإنابة ، فإذا أناب إليه رَفَعَ عنه عُتْبَهُ) انتهى ^(٢) .

(١) أنظر تفسير الطبري ، ١٥ / ١٠٩ .

(٢) مفتاح دار السعادة ، ص (١٢١) .

من أسباب قسوة القلوب اليوم ، وفراغها من الخوف من الله عز وجل

لقد كان من أسباب رحيل الخوف ظلمة القلوب لما غطاها من ران الذنوب لما انتشر داء التعطيل والإلحاد حتى ملأ العالم بواسطة علوم دخيلة على المسلمين مجالها الطبيعة المقطوعة عن خلقها ويُدبرها ، ومن هنا رحل الخوف ، ومن هنا عُزل المالك سبحانه عن التصرف في ملكه ، وذلك في عقول الطغام أشباه الأنعام حيث أصبحوا لا يذكرون الله ولا يخشونه حينما يقع بأس الله وغضبه كالكسوف والزلازل والأعاصير وغيرها ، وإنما ينسبون ذلك للطبيعة وكأنها تتصرف بذاتها ! .

قال تعالى : ﴿ قُلُوا إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ، فأين التضرع عند حدوث الحوادث !؟ .

قال ابن الجوزي : (الدنيا دار الإله ، والمتصرف في الدار بغير أمر صاحبها لص) انتهى .

لقد عُزِلَ المالك سبحانه عن ملكه وامتألت الأرض باللصوص ! .

ولو فَتَشَ المسلمون اليوم بصدق عن سبب قسوة قلوبهم وُبُعْدَهم عن خالقهم لوجدوا أن أعظم أسباب ذلك هو هذه العلوم المادية الإلحادية التي نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير ، لأنها جاءت من ملاحظة عزلوا الله عن علومهم الكونية إطلاقاً ، وصارت فتنتها من أعظم الفتن التي تَشْرَبُتها القلوب ، فالأسباب عندهم مستقلة عن مُسَبِّب .

كيف يتأتَّى والحال هكذا خوفٌ من الله وتجنبٌ لمساحطه ؟ ! .

والله المستعان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .



الآيات والكوارث سببها الكفر والمعاصي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ يُخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ ^(١) ، قال : (فخَوْفُ الْعِبَادِ مُطْلَقاً ، وأمرهم بتقواه لئلا ينزل [بهم] الْمَخُوف ، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، والإنذار هو الإعلام بما يُخاف منه ، وقد وَجَدَتِ الْمَخُوفَاتُ فِي الدُّنْيَا ، وعاقب الله على الذنوب أَمْماً كَثِيرَةً كَمَا قَصَّه فِي كِتَابِهِ ، وكما شَوَّهَدَ مِنَ الْآيَاتِ) انتهى ^(٢) .

ولقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم بأن هذه الآيات والكوارث العظيمة ليس حصولها بمجرد سبب طبيعي مجرد فحسب ، بل بسبب ما يرتكبه بنو آدم من الكفر والمعاصي والذنوب ، حيث بيّن سبحانه أنه قد أخذ بمثل هذه الآيات أَمْماً كَثِيرَةً بسبب ما ارتكبوه من الكفر والمعاصي والذنوب ، فقال سبحانه وهو يعدد أصناف ما أصاب به أولئك الأقوام بسبب ذنوبهم : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) سورة الزمر ، من الآية : ١٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية ، ٥ / ٢٩٩ .

أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ لِيُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا اللَّأَنَهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) ، وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (٤) .

وقد دمر الله جنوب أمريكا الكافرة الجائرة بريح عاتية تُذكرنا بما أصاب عاد قوم هود ، وصاحب تلك الريح غرق عظيم صبت السماء ماءه صباً ، وتفجرت الأرض بفيضانات عارمة ، فالتقى الماء على أمر قد قدر

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١١ .

(٤) سورة غافر ، الآية : ٢١ .

مع رياح شديدة ، فغرقت مدينة كاملة بأسرها ، حتى ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ^(٢) .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يمثل هذه الأعاصير العاتية قد أخذ عاد قوم هود حين كفروا به وكذبوا رسوله هود - عليه السلام - ، حتى جعلتهم تلك الرياح العاتية بأمر ربها كأعجاز نخل خاوية ، فقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ ^(٣) .

كما أخبر سبحانه أنه أخذ قوم نوح بالطوفان العظيم الذي تفجر من الأرض عيوناً ، وانفتحت السماء بماء عظيم تصبه صباً ، فالتقى الماء على أمر قد قدر ، حتى أغرقهم سبحانه عن آخرهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر بعد أن كفروا برهم وكذبوا رسوله ؛ فقال سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْثُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٥﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ

(١) سورة محمد ، من الآية : ١٠ .

(٢) سورة هود ، من الآية : ٨٣ .

(٣) سورة فصلت ، الآيات : ١٤ - ١٥ .

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿٧﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ ۝ ﴾

وأخبر سبحانه أنه أخذ بالمطر الشديد والسيل العرم قبيلة (سبأ) (١)

حينما كفرت برها وبنعمه عليها ، حتى مزقها كل ممزق ، وجعلها أحاديث للناس وعبرة لهم ، وآية لكل صبار شكور ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ

(١) سورة القمر ، الآيات : ٩ - ١٥ .

(٢) وهي قبيلة يمنية مشهورة ، وبلدتهم معروفة يقال لها (مأرب) ؛ أنظر (تفسير الشوكاني ، ٤ / ٣١٩) ،

و (معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ٣ / ١٨١) .

مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١﴾ .

قال الإمام ابن القيم : (وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب ! .

وما الذي أخرج إبليسَ من ملكوت السماء ، وطردَه ، ولَعَنَه ، ومَسَخَ ظاهره وباطنه ، فَجَعَلَتْ صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ، وبُدِّلَ بالقرب بُعْداً ، وبالرحمة لعنةً ، وبالجمال قبحاً ، وبالجنة ناراً تلظى ، وبالإيمان كفرًا ، وبمِوالاةِ الولي الحميد أعظم عداوة ومُشاقة ، وبزَجَلِ التسبيح والتقديس والتهليل زَجَلِ الكفر والشرك والكذب والزور والفحش ، ولباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان ، فهان على الله غاية الهوان ، وسَقَطَ من عينه غاية السقوط ، وحلَّ عليه غضبُ الربِّ تعالى ، فأهواه ومَقَّتَه أكبر المقت فأرداه ، فصار قَوَّاداً لكل فاسق ومجرم رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العباداة والسيادة ، فعيّاذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك .

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ! .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وما الذي سَلَطَ الرِّيحَ العَقِيمَ على قوم عاد حتى أَلْقَتْهُمْ موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ودمرت مامرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ! .

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قَطَّعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم ! .

وما الذي رَفَعَ قري اللوطية حتى سَمِعَت الملائكة نبيح كلابهم ، ثم قَلَبَهَا عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً ، ثم أتبعهم حجارة من سجيل السماء أمطرها عليهم ، فجمَعَ عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمةٍ غيرهم ، ولإخوانهم أمثالها .. ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ^(١) ! .

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلُم ، فلمّا صار فوق رؤسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ! .

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق والأرواح للحرق ! .

وما الذي خَسَفَ بقارون وداره وماله وأهله ! .. وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمّرها تدميراً ! .

(١) وقد ورد أن مثل هذه العقوبة ما هي ببعيد من ظلمي هذه الأمة إذا فعلوا مثل فعل قوم لوط .

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى حمدوا عن آخرهم !.

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأسٍ شديدٍ ، فجاسوا خلال الديار ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الذراري والنساء ، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال ، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية ، فاهلكوا ما قدروا عليه وتَّبَرَّوا ما علَوْ تَبيراً ! .

وما الذي سلَّط عليهم أنواع العذاب والعقوبات ، مرةً بالقتل والسبي وخراب البلاد ، ومرةً بجور الملوك ، ومرةً بمسخهم قردة وخنازير ، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ! ^(١) .

قال الإمام أحمد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا صفوان بن عمر وحدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه ، قال : لما فتحت قبرص فُرِّق بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي ، فقلت : يا أبا الدرداء .. ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟! ، فقال : " ويحك يا جبير ! ، ما أهون الخلق على الله عز وجل

(١) وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته تتبع آثارهم وتقتفوا ما اقتفوه ، وقد حصل الأمر كما أخبر وزيادة ، فهل لهم المُرَّة ولنا الحلوة ؟! ، .. وسُنَّ الله لا تبدل ، قال تعالى بعد ذكره عقوبات الأمم المتقدمة بذنوبها : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [سورة القمر ، آية : ٤٣] ، وسُنَّ الله عادته ، وهي لا تبدل ولا تتحول ولا تتغير ؛ فالحذر الحذر من التشبه بالكفار وتبعية آثارهم واقتراف ما اقتفوه .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

إذا أضعوا أمره ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى ! ^(١) انتهى ^(٢).

ولهذا حذر الله عباده من شؤم الذنوب والمعاصي التي تجلب الكوارث والدمار والبوار ، فقال سبحانه وهو يذكرهم بما حلَّ بمن كفر به وعصاه من العقوبات والكوارث المدمرة : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا ﴾ ^(٥) ، وقال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٦) .

(١) أخرجه أحمد في (الزهد ، ١ / ١٤٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢١٦) ، وأخرج سعيد بن منصور نحوه في (سننه ، ٢ / ٢٩٠) .

(٢) الجواب الكافي ، ص (٢٦) .

(٣) سورة الحج ، آية : ٢٥ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٤٨ .

(٥) سورة الطلاق ، آية : ٨ .

(٦) سورة النحل ، آية : ١١١ .

فالحذر الحذر قبل أن تحل بنا عقوبات الإله العظيم ونحن على أحوال لا ترضيه تعالى ، فقد ذكّرنا سبحانه بما عاقب به مَنْ كفر به وعصاه ، وأكثر من تذكيرنا بذلك رحمة بنا وإعذاراً قبل أن يأخذنا بذنوبنا وبما فعل السفهاء منا ، ووالله لن تنفعا إحالة هذه الكوارث لـ (الطبيعة) إذا وقع بنا أمرُ الله ، وحلت بساحتنا العقوبات كما حلت بمن قبلنا ومن حولنا بعد أن بارزوا ربهم بالمعاصي والمنكرات ، ونسأل الله يلفظ بنا وبالمسلمين ، وأن لا يؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعل السفهاء منا .

وسياقي الكلام في آخر الكتاب - إن شاء الله - على أسباب تأخر العقوبات الكونية العامة على كثيرٍ من الناس في هذا الزمان بعد أن بارزوا الله بشتى أنواع المنكرات إلا ما شاء الله ، بينما تحل بأسلافهم في الماضي حينما يرتكبون بعض ما يُرتكب اليوم من المعاصي والمنكرات التي لم يسبق لها مثيلاً في كمّها وكيفيتها وصِفَتِها - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .



هل معرفة الأسباب الطبيعية لحدوث الآيات والكوارث ينافي الخوف من الله . وأنها عقاباً منه ؟!

لقد كان كثير من السلف يعلمون الأسباب الطبيعية لهذه الآيات والكوارث ، وما كان ذلك حائلاً بينهم وبين معرفة الحكمة من إحداثها .

غير أن كثيراً من الناس في وقتنا لمَّا علموا بعض الأسباب التي يُحريها الرب سبحانه لآياته ، وهي بعض أسباب حصول الآية أو احتمال حصولها رأوا أنهم شَبَّوا عن الطَّوْق ، فتركوا ربط الأسباب بِمُسَبِّبِها لمن يَرَوْنَهُم " دراويشاً " حتى صاروا بينهم موضعَ سخريَةٍ وتندُّر ! ، فابتعدوا عن ربهم وتنكَّروا لدينهم ، ويحسبون أنهم على شيء ، وإنما هم كطفل في خطواته الأولى قدَّر في نفسه استغناءه عن والديه فهام في خطواته المتعثرة مبتعداً عن والديه مُتَّخِلاً قدرته على الاستقلال عنهما فكان ضحيةَ خَوَاطِرِهِ كما قيل في المثل : (إذا أراد الله حَتْفاً بنملة ، أتاحَ لها جناحان فطارا بها !) ، أي طارا بها عن بيتها وعن أصحابها لأنها أجنحة تقود إلى الحُتْف ، وسُرْعان ما تساقطت ، وإذا هي في المتاهة والضياغ ! .

والأسباب التي عرفها هؤلاء هي أن الكسوف يُحدَّد وقته مُسْتَقْبَلاً ويقع كما حُدِّد ؛ والزلازل عرفوا أن سببها أبحرة في داخل الأرض مُتَحَجِّرة

فُتريد الخروج فتحصل الزلازل ، والأعاصير والفيضانات لها أوقات ومواسم معلومة ، وبما أن الأمر كذلك فالخوف والتخويف بعد انفتاح العلوم والتطور ورُقي الإنسان لا معنى له ، إنما كان ذلك للإنسان البدائي في عصور الظلمات .

وبعضهم أخذه الشيطان لأبعد من هذا ، وهو أن الفضاء لا حَدَّ له ، وفيه ملايين المجرات ، والمسافات بينها خيالية ، فأغفله الشيطان عن ذكر ربه فنسيه أو أنكره ! ، كيف إذا انضاف إلى هذه المسافات الخيالية في الفضاء الذي لا يُحد أن عُمَرَ الأرض يُقدرُ بملايين السنين ، وأن الكائنات ما تزال في تطور ، وأن الدين ظاهرة اجتماعية كما في هذه العلوم الدخيلة على أهل الإسلام والتي مَبْنَاها على الإلحاد والتعطيل ^(١) .

والمراد هنا أن معرفة بعض الأسباب الكونية لا توجب الغفلة عن مسببها ، أو إنكاره .

فإذا عُلِمَ أن سببَ كسوفِ الشمسِ هو مرور القمر بينها وبين الأرض ، ولا يكون ذلك إلا في آخر الشهر ؛ وعُلِمَ أن سببَ خسوف القمر هو وقوع ظل الكرة الأرضية عليه فتحجب نورَه المستفاد من الشمس ولا يكون ذلك إلا في ليالي الإبدار ..

(١) وفي كتابي (الفرقان في بيان إعجاز القرآن) و (هداية الحيران في مسألة الدوران) الرد على هؤلاء .

فإنه يقال :

أولاً: هذا معلوم عند السلف قبل زماننا ومُدَوَّن في كتبهم مثل ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله - وغيرهم .

ثانياً: العلم بذلك لا يُعارض ما جعل الله هذه الآيات سبباً له من التخويف لتحصل التوبة والرجوع إلى الله ؛ فلا تنافي إطلاقاً بين معرفة هذه الأسباب وبين ما ورد في الشرع بشأنها إلا عند من يُريد التفلّت من العبودية لتكون حاله - كما قاله ابن القيم رحمه الله - :

هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ
فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ !

ويكون ممن صدّق عليه إبليس ظنه .. قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

قال الحسن البصري - رحمه الله - : (لما أهبط الله آدم - عليه الصلاة والسلام - من الجنةِ ومعه حواء هبط إبليس فرحاً بما أصاب منهما ، وقال : " إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف " ، وكان ذلك ظناً من إبليس فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٠ .

إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

وقال - رحمه الله - : (والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء ، وما كان إلا غروراً وأمانى دعاهم إليها فأجابوه) (٢) .

وهل إذا عَلِمَ الإنسانُ أن النطفةَ إذا استقرت في الرَّحِمِ أن الطفل يولد بعد تسعة أشهر يوجب له إغفال أو إنكار الخالق سبحانه ؟! ، فالربُّ سبحانه أجرى عاداته في أمور توجب إيمان الكافر وزيادة إيمان المؤمن ، فكيف انقلبت الموازين في هذا الزمان السوء ؟!

وهل إذا علم الإنسانُ أن الحَبَّ والنوى إذا بُذِرَ في الأرض وسُقِيَ أنه تنبت منه هذه النباتات والأشجار العجيبة يوجب له ذلك قَصْرُ الأمر على السبب والانقطاع عن الفاعل سبحانه ؟!

وهكذا فيما لا يُحصى من معرفة الأسباب وتَحْيِين أوقاتها ، ثم إن معرفة الأسباب وأوقات انعقادها قد أجراه الله في الرحمة كما أجراه في العذاب والنقمة ، فالصلوات الخمس مَوْقُوتة وشهر رمضان ووقت الحج وآخر الليل مَوَاسِمَ رحمة وأحايينها معلومة فهل في ذلك تعارض ؟!

(١) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٣٦ .

(٢) تفسير الصنعاني ، ٣ / ١٣٠ .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

كذلك أجرى الله عاداته أن كسوف الشمس لا يكون إلا في آخر الشهر وخسوف القمر في منتصفه وأخبر سبحانه على لسان نبيه ﷺ أن ذلك مما يُخَوِّفُ الله به عباده ؛ كذلك إذا أطلعَ الله بعض الخلق على الوقت الذي سوف يحصل فيه الكسوف أو الخسوف بحساب سير الشمس والقمر ووقع كما أخبر ، فهل يتعارض ذلك مع موجب الخوف وأنه سبحانه جعل ذلك آية يُخَوِّفُ بها عباده ؟! ^(١) .

وشاهد ذلك أن يُقارن الكسوف والخسوف في أيامه حَوَادِثُ وآياتٌ غَضِيبٌ ونقمةٌ كما حصل هذه الأيام من الأعاصير والفيضانات في دولة أمريكا ، فلا تعارض أن ذلك عذاب ونقمة .

وقد قارن ذلك كسوف الشمس والحمد لله ، ونسأله المزيد من فضله حيث أخبر الحسابون أن ذلك سيقع آخر شهر شعبان ، والله أعلم ؛ أما تَقَدُّمُ شهر ونحوه أو تأخره فلا يُعارض المقارنة ، وما زالت النقمة مستمرة والحمد لله .

وقد قال ابن القيم رحمه الله : (نَعَمْ لا ننكر أن الله سبحانه يُحدِثُ عند الكسوفين من أقضيته وأقداره ما يكون بلاءً لقوم ومصيبة لهم ، ويجعل

(١) والإعلام بالكسوف قبل وقوعه ليس من هَدْيِ أهل الإسلام وإن كان يُعلم بحساب سير الشمس والقمر ، ولكن المراد هنا أنه ليس من عِلْمِ الغيب الذي استأثر الله به .

الكسوف سبباً لذلك ، ولهذا أمر النبي ﷺ عند الكسوف بالفزع إلى ذكر الله والصلاة والعताقة والصدقة والصيام ، لأن هذه الأشياء تدفع موجب الكسوف الذي جعله الله سبباً لما جعله ، فلولا انعقاد سبب التخويف لما أمر بدفع موجهه بهذه العبادات ، والله تعالى في أيام دهره أوقات يحدث فيها ما يشاء من البلاء والنعماء ويقضي من الأسباب ما يدفع موجب تلك الأسباب لمن قام به أو يقلله أو يخففه ؛ فمن فزع إلى تلك الأسباب أو بعضها اندفع عنه الشر الذي جعل الله الكسوف سبباً له أو بعضه .

ولهذا قلّ ما تسلم أطراف الأرض حيث يخفى الإيمان وما جاءت به الرسل من شرٍّ عظيم يحصل بسبب الكسوف ، وتسلم منه الأماكن التي يظهر فيها نور النبوة والقيام بما جاءت به الرسل ، أو يقلّ فيها جداً .

ولَمَّا كَسَفَت الشمسُ على عهد النبي ﷺ قام فزعاً مسرعاً يجرّ رداءه ونادى في الناس " الصلاة جامعة " ^(١) ؛ وخطبهم بتلك الخطبة البليغة وأخبر أنه لم يرَ كيومه ذلك في الخير والشر وأمرهم عند حصول مثل تلك الحالة بالعتاقة والصدقة والصلاة والتوبة ، فصلوات الله وسلامه على أعلم

(١) روى فقرة " يجرّ رداءه " البخاري برقم (٩٩٣) عن أبي بكره - رضي الله عنه - ، وروى فقرة

" الصلاة جامعة " البخاري برقم (٩٩٨) ومسلم برقم (٩٠١) عن عائشة - رضي الله عنها - .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

الخلق بالله ، وبأمره ، وشأنه ، وتعريفه أمور مخلوقاته ، وتديره ، وأنصحهم للأمة ، ومن دعاهم إلى ما فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم ، ونهاهم عما فيه هلاكهم في معاشهم ومعادهم (انتهى ^(١) .

أنظر قوله : (وَقُلْ مَا تَسْلُمَ أَطْرَافُ الْأَرْضِ حَيْثُ يَخْفَى الْإِيمَانُ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ شَرِّ عَظِيمٍ يَحْصُلُ بِسَبَبِ الْكُسُوفِ) وتأمل الشواهد ..
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٢) .

وتأمل الآن كيف كان يفعل النبي ﷺ حين حدوث الكسوف والخسوف حيث لم يقف مثلاً مع الحالة الطبيعية لكسوف الشمس وهو حيلولة القمر بينها وبين الأرض ، ولكن لما أعطاه الله من المعرفة العظيمة به والتعلق بربه مسبب الأسباب سبحانه كان علمه ﷺ مع معرفة تلك الأسباب الطبيعية والعلم بما وراء تلك الأسباب ، وهو الخوف من الله تعالى بالفزع إلى الصلاة واللجوء إلى ربه عز وجل ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : كسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم قام فأطال القيام ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع ، وهو دون

(١) مفتاح دار السعادة ، ٢ / ٢٠٩ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٢ .

الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الثانية مثلما فعل في الأولى ، ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، وكونوا ، وصلوا ، وتصدقوا " ، ثم قال : " يا أمة محمد .. والله ما من أحدٍ أُغَيِّر من الله أن يزي عبده ، أو تزني أمته ، يا أمة محمد .. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ! " (١) .

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : (خسفت الشمس في زمن النبي ﷺ ، فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة ، حتى أتى المسجد ، فقام يصلي بأطول قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ ، ما رأيته يفعلهُ في صلاة قط ، ثم قال : " إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ") (٢) .

وإن من علامات رحيل الخوف من القلوب أن بعضَ الحسَّائين ممن ينتسب للإسلام يَصِفُ الكسوف القادم (٣) بأنه (كسوف جميل) ! ، فأين

(١) رواه البخاري برقم (٩٩٧) ، ومسلم برقم (٩٠١) .

(٢) رواه مسلم برقم (٩١٢) .

(٣) الذي أعلن الحسَّابون أنه سيكون آخر شهر شعبان من هذا العام (١٤٢٦ هـ) ، والله تعالى أعلم .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

هذا من قول الله عز وجل ﴿ وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ ^(١) ، وقول النبي ﷺ عن كسوف الشمس وخسوف القمر بأتهما : (آيتان من آيات الله ، يُخَوِّفُ الله بهما عباده) ؛ أما نَحَاف من قول الله عز وجل : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ^(٢) !؟ .

حقاً (إنها السنن) ^(٣) ، فإن الكفار يتسهجون ويفرحون بمنظر الكسوف والخسوف ، ويتابعون ذلك بآلات التصوير وغيرها من مكبرات ومقربات البعيد ، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً ! .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - بعد أن ذكر قوله ﷺ : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته) ، وفي

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

(٣) أخرج ابن حبان في صحيحه برقم (٦٧٠٢) والطبراني في الكبير برقم (٣٢٩١) والمروزي في السنة برقم (٣٩) عن أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها " ذات أنواط " ، قال : فمررنا بالسدرة ، قلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! ، فقال رسول الله ﷺ : (الله أكبر ! .. إنها السنن) ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل " اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة " قال : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، من الآية : ١٣٨] .. لتركبن سنن من كان قبلكم) ، وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة بأن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها - نسأل الله السلامة والعافية - ، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري برقم (٣٢٦٩) ومسلم برقم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : (لتتبعن سنن من قبلكم شراً بشير ، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكنموه ! ، قلنا : يا رسول الله .. اليهود والنصارى !؟ ، قال : فَمَنْ !) .

رواية : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ، ولكن الله تعالى يخوّف بهما عباده) ^(١) ؛ قال - رحمه الله - بعد أن ذكر ذلك : (فذكر - ﷺ - أن من حكمة ذلك تخويف العباد كما يكون تخويفهم في سائر الآيات كالرياح الشديدة ، والزلازل ، والجذب ، والأمطار المتواترة ، ونحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذاباً ؛ كما عذّب الله أمماً بالريح والصيحة والطوفان قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ ^(٣) ، وإخباره - سبحانه - بأنه يُخوّف عباده بذلك بين أنه قد يكون سبباً لعذاب ينزل كالرياح العاصفة الشديدة ، وإنما يكون ذلك إذا كان الله قد جعل ذلك سبباً لما ينزل في الأرض) انتهى ^(٤) .

وقال : (والتخويف يتضمن الأمر بطاعته ، والنهي عن معصيته) ^(٥) .

(١) رواه البخاري برقم (١٠٠١) من حديث أبي بكرة ، ومسلم برقم (٩٠١) من حديث عائشة .

(٢) سورة العنكبوت ، من الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٥٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ، ٣٥ / ١٦٩ .

(٥) النبوات ، ص (٣١٨) .

التفكير والاعتبار

بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وقال - رحمه الله - : (وهذا بيان منه ﷺ أنهما سبب لنزول عذاب بالناس ، فإن الله إنما يُخَوِّف عباده بما يخافونه إذا عصوه وعصوا رسله وإنما يخاف الناس مما يضرهم ، فلولا إمكان حصول الضرر بالناس عند الخسوف ما كان ذلك تخويفاً ، قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ ، وأمر النبي ﷺ بما يُزيل الخوف [حيث] أمر بالصلاة ، والدعاء ، والاستغفار ، والصدقة ، والعق .. حتى يكشف ما بالناس ، وصلى - ﷺ - بالمسلمين صلاةً طويلة (انتهى ^(١)) .

وقال : (وأما كون الكسوف أو غيره قد يكون سبباً لحادث في الأرض من عذاب يقتضي موتاً أو غيره فهذا قد أثبتته الحديث نفسه ، وما أخبر به النبي ﷺ لا يُنافي لكون الكسوف له وقت محدد يكون فيه حيث لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر ليلة السّرار ، ولا يكون خسوف القمر إلا في وسط الشهر وليالي الإبدار ، ومن ادّعى خلاف ذلك من المتفقهة أو العامة فلعدم علمه بالحساب ، ولهذا يمكن المعرفة بما مضى من الكسوف وما يُستقبل كما يمكن المعرفة بما مضى من الأهلة وما يُستقبل ^(١) ، إذ كل ذلك بحساب كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤ / ٢٥٩ .

(٢) أما العمل على حساب ما يُستقبل من الأهلة فباطل شرعاً ، وقد أنكره شيخ الإسلام - كما في (مجموع الفتاوى / ج ١٥ ، ٢٥ ، ٢٧) - ، وعليه عمل أهل الكتاب - مثل ما يُسمى بـ (التقويم) - .

سَكَنَّا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانَا ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِحُسْبَانٍ ^(٢) ﴾ انتهى .

ولزيادة البيان والرد على مَنْ زعم أن ما حصل في أمريكا هو موسم
أعاصير وفيضانات فقد قال ابن تيمية - رحمه الله - قال : (كما أن
تعذيب الله لمن عذبه بالرياح الشديدة والباردة كقوم عاد كانت في الوقت
المناسب ، وهو آخر الشتاء كما ذكر ذلك أهل التفسير وقصص
الأنبياء ^(٣)) انتهى ؛ فتأمل هذا الكلام وأن الرياح الشديدة التي سَلَطَهَا الله
على عاد قوم هود - عليه السلام - الذين قالوا : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ^(٤) ﴾
كانت في وقت هبوب الرياح الشديدة الباردة ، وقد وَصَفَهَا سبحانه بأنها "

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٥ .

(٣) وقد أَسْتَفِيدَ من كون هذه الرياح المدمرة كانت في موسم الشتاء التي تكثر فيه الرياح وتشتد من قوله تعالى :
﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة . من الآية : ٦] ، وآيات أخرى تبين بأن هذه الرياح كانت
(صرصرًا) ، فمعنى رِيحٍ (صرصر) أي الرياح الباردة الشديدة البرودة ، كما جاء في (مختار الصحاح ، ص
١٥١) ، و (تفسير ابن كثير ، ٤ / ٤١٣) ، و (تفسير القرطبي ، ١٥ / ٣٤٧) ، وغيرها .

وقد استبطن البعض - أيضاً - بكون هذه الرياح قد جاءت في موسم الشتاء الذي تكثر وتشتد فيه ، من قوله
تعالى عن قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ
رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَکِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الأحقاف ، الآية : ٢٤ - ٢٥] ، فكونهم قالوا بأنه (عارض ممطرنا) دليل على أنه كان في موسم
الأمطار الذي تكثر فيه الرياح وتشتد ؛ والله أعلم .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ١٥ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

عاتية " ، فهو سبحانه قد زاد في سرعتها وبردها وقوتها ، فجعلها ريح عذاب كـ (الأعاصير) وما يحصل بسببها من فيضانات في وقتنا .

وإليك كلام شيخ الإسلام في ذلك ؛ حيث قال - رحمه الله - :
(فإذا كان الكسوف له أجل مسمى لم يُنافِ ذلك أن يكون عند أجله يجعله الله سبباً لما يقتضيه من عذاب وغيره لمن يُعَذَّب الله في ذلك الوقت أو لغيره ممن ينزل الله به ذلك ، كما أن تعذيب الله لمن عَذَّبَه بالريح الشديدة الباردة كقوم عاد كانت في الوقت المناسب وهو آخر الشتاء كما ذكر ذلك أهل التفسير وقصص الأنبياء .

وكذلك الأوقات الذي يُنزل الله فيها الرحمة كالعشر الآخرة من رمضان والأول من ذي الحجة ، وكجوف الليل ، وغير ذلك هي أوقات محدودة لا تتقدّم ولا تتأخر ، وينزل فيها من الرحمة ما لا يُنزل في غيرها) انتهى (١) .



(١) أنظر : مجموع الفتاوى ، ٣٥ / ١٧٦ .

**ما هي حقيقة (الطبيعة) التي يُحال
إليها ما يجريه الله من الآيات والكوارث ؟!**

إنه من التعطيل والإلحاد إحالة الحوادث إلى الطبيعة وقطع ذلك عن مالكها المتصرف فيها سبحانه .

ثم ما هي الطبيعة ؟! ، هل هي خالقة أو مُدبِّرة ؟! ، إنها مخلوقة مُدبِّرة .. إنها آلة بيد مُحركها ومُسكِّنها سبحانه .

قال ابن القيم - رحمه الله - عن الفلاسفة والطبائعين وزنادقة الأطباء :
(وليست الطبيعة عندهم مربوبة مقهورة تحت قهر قاهر ، وتسخير مسخر يُصَرَّفها كيف يشاء ، بل هي المتصرفة المدبِّرة !) ^(١) .

إن الفلاسفة والطبائعين هم الذين ملأت علومهم الأرض اليوم وليس لله فيها ذكر ، وهي التي فتحت باب الإلحاد والزندقة .

فانظر مثلاً إلى نظرية " داروين " التي عليها مدار علوم الغرب الدخيلة على أهل الإسلام ، وليس لله فيها ذكر مع الكونيات ، وأنه سبحانه كوَّنها ؛ بل ينسبون ما يرون من الكائنات والحوادث التي تجري فيها إلى

(١) طريق المحرّيتين ، ص (٢٥٦) .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

الاتفاق ، وأن ذلك كله يحدث من ذاته ، وهذا عين التعطيل .

وتأمل الآن بعض الأجوبة القاطعة لأمثال هؤلاء :

قال أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - : (فمن أوضح الدلالة على معرفة الله سبحانه وتعالى على أن للخلق صانعاً ومدبراً أن الإنسان إذا فكر في نفسه رآها مُدَبَّرَةً ، وعلى أحوالٍ شتى مُصَرَّفَةً .

كان نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ولحماً ، فيعلم أنه لا ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال ، لأنه لا يقدر أن يُحْدِثَ في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ أشده عضواً من الأعضاء ، ولا يُمكنه أن يزيد في جَوَارحه جارحة ، فيدله ذلك على أنه في وقت نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز .

وقد يرى نفسه شاباً ، ثم كهلاً ، ثم شيخاً ، وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى حال الشيخوخة والهزم ولا اختاره لنفسه ، ولا في وسعه أن يُزَايلَ حال المَشْيِبِ ويُرجِعَ قوة الشباب ، فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه ، وأن له صانعاً صَنَعَهُ وناقلاً نقله من حال إلى حال ، ولولا ذلك لم تبدّل أحواله بلا ناقل ولا مُدَبِّرٍ) .

وذكر الخطابي بعد ذلك كلاماً ، ثم قال : (فأما ما ادّعوه من قبول النطفة بما فيها من القوة الإغتهاء والتربية ، فإن ذلك لا يُنكر إذا صح العلم

به في طريق العادات) انتهى ^(١) .

هذا الكلام الأخير ، وهو قوله : (فأما ما ادّعوه) إلى آخره .. هو معتقد هؤلاء الدهرية المعطلة الذين غزت علومهم المسلمين ، وطبقت الأرض كلها ، وتزندق بسببها كثيرون .

وهذا الكلام - أيضاً - على نسق موضوع هذا الكتاب من حيث قطع الأسباب عن مسببها - سبحانه - ، المتصرف فيها ؛ مما نتج عنه عزل المالك الحق عن ملكه ! .

فكلام أرباب هذه العلوم العصرية في الكسوف والزلازل والرياح الشديد العاتية التي تُسبب الأعاصير وغير ذلك من الحوادث الطبيعية واحد ، وقد تبين الكلام على هذه الأشياء ، ويأتي إن شاء الله زيادة بيان ، وإنما الكلام هنا على النطفة وكلام الخطابي فيها وهو : (قبول النطفة بما فيها من القوة الإغتناء) .

وهو نفس كلام هؤلاء في الخلايا وانقسامها وما تحويه من مواد ، فالشيخ الخطابي لا يُنكر هذه الأسباب إذا صحّ العلم بها ، لكن تأمل الآن ما يأتي من ردّه عليهم .

(١) بيان تلبس الجهمية لا بن تيمية ، ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

قال - رحمه الله - بعد الكلام السابق : (ولكن الذي ننكره من ذلك أن يكون هذا الفعل للنطفة بذاتها من غير مدبرٍ مدبرها لذلك) .

تأمل ما تقدم تعلم أن أرباب هذه العلوم ومن قلدتهم مغرورون بما حصل لهم من اكتشاف بعض الأسباب والتدقيق فيها بقطعها عن الخالق المدبر سبحانه .

ثم إن الخطابي بعد ذلك سيبرهن على كلامه السابق ، ويفضح الملاحظة ، وإخوائهم في وقتنا (الداروينيين / القرديين) بأربعة أمثلة تكشف زيفهم وتظهر إلحادهم :

الأول : قال رحمه الله : (ولو كان هذا جائزاً من غير مدبرٍ حكيم عالم قدير يعلم كيف يُدبر النطفة ويُقلبها أطواراً ، ويُسوِّي منها السمع لما يصلح له ، ويضعه في موضعه ، والبصر في مكانه الذي يليق به في البدن ، وكذلك تعليق اليدين العاملتين في موضعهما والرجلين الحاملتين في أحصّ المواضع بهما ، ووضع كل شيء من القلب والكبد والطحال وسائر الأجسام في الذي هو أملك به وأشكل لما أُعدَّ له من الفعل) .

الثاني : ثم قال - رحمه الله - في جواب الشرط : (لجاز أن يرتفع الماء من تلقاء نفسه ، ويختلط بالطين ، ويقع الطين في قالب اللبن ، وينطبع به ، ثم يزحف إلى موضع البناء فيرتفع بعضه على بعض فيتضد حتى يكون

بناءً ربيعاً محكماً مشيداً من غير بانٍ ولا رافع ساق على ساق ، بل ينطبع الماء والتراب بنفسهما لا بشيء سواهما ، فإن لم يكن هذا جائزاً لأنه ليس من طبع الماء والتراب أن يكون منهما ما وصفت ، فكذلك غير جائز تركيب الإنسان وتصويره وتخطيطه على ما عليه الإنسان من جنس الصورة وعجيب التركيب بنفس النطفة وطبعها) .

الثالث : ثم قال : (ويُجاز على هذا بطبع الخشب وجود سفينة اجتمعت أجزاؤها ، واعتدلت وتماسكت وداخل بعضها بعضاً وقربت من الساحل معها دقلها ^(١) وآلاتها ، يعبر من يريد العبور من المسافرين ، ثم تعود بنفسها إلى مركزها ومرسأها كذلك) .

الرابع : ثم قال : (ويُجاز بطبع الماء والنار والتربة أن يوجد حمام ^(٢) في أسفله نار ، وفي بيوته ماء على غاية الاعتدال في الحرارة والرطوبة من غير بانٍ بنائه ومُسَخَّن سَخَّته ، ومُدَبَّر دَبَّره .

فإن لم يَجْز شيء مما ذكرناه ، فليكن مثل ما ادَّعَوْه من النطفة واجتماع خلق الإنسان منها من غير مُدَبَّر حكيم دَبَّره وأحكمه ، فهذا الدليل يتضمن أن المحدث لا بُد له من محدث وأن ما فيه من الحكمة لا بد له من قاصد

(١) الدقل هو : خشبة يُمد عليها شراع السفينة ، وتسميها البحرية : " الصاري " .

(٢) المقصود بالحمامات هنا هي التي يُسَخَّن فيها الماء للاستحمام ، وتوجد في البلاد الباردة مثل الشام .

حكيم) انتهى ^(١) .

وأخيراً .. (تمخّض الجمل فَوَلَدَ فأراً) ، فالغريون كأنهم بدأوا يستحيون من نظرية داروين التي تجعلهم أحفاد القردة ! ، فلجئوا إلى ما سَمَّوه " التصميم الذكي " ، وهذه النظرية ترى أن الخلق من فعل قوة خفية ؛ وعلى كل حال فهذا الاعتقاد يهدم ببيان نظرية داروين إن اعترفوا به وأقرّوه ! ، ويفضح المقلدة العُمي من أمثال الزنديق العراقي (معروف الرصافي) الذي يرى أن الأديان ليست وحياً منزلاً على الأنبياء وإنما هي موضوعة ومُبتدعة ! ، كذلك الزنديق العراقي (جميل الزهاوي) الذي يفتخر بقرديته فيقول :

إِنْ نَحْنُ إِلَّا أَقْرَدٌ مِنْ نَسْلِ قَرْدٍ هَالِكٍ
فَخَرَّ لَنَا ارْتِقَاؤُنَا فِي سُلْمِ الْمَدَارِكِ

ويا له من فخر !! .. وكل أرباب ملايين السنين المزعومة في الماضي السحيق وأهل السّجل الجيلوجي والديناصورات المُتخيّلة يرجعون إلى (داروين) وقروده فهو أصلهم ونسبهم ، وعلى هذا مبنّى العلوم العصرية التي يعكف عليها من يدّعي الإسلام، وقد ذكرت ذلك في كتاب (الفرقان في بيان إعجاز القرآن) ، ويتبعهم أيضاً أهل ملايين الجحرات المزعومة وأهل

(١) بيان تلبّيس الجهمية ، ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

دوران الأرض .

وليُعلم أنه حتى الإقرار بتصميم ذكيّ - كما يقولون - وقوة خفية ليس هو الإقرار بمعتقد المسلمين الذين يعتقدون بالخالق لكل شيء سبحانه ، وهو رب العالمين الحي القيوم المتّصف بصفات الجلال والعظمة والعلوّ فوق عرشه المجيد العظيم الذي فوق سمواته .

وحتى الذي يُقرّ بهذا الربّ سبحانه وحياته وما يتّصف به لا يدخل في الإسلام حتى يُقرّ بأنه (لا إله إلا الله) ، وتصديقها الإقرار بشهادة (أن محمداً رسول الله) واتّباعه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وأما المتفلسفة وأتباعهم فغايتهم أن يستدلوا بما شاهدوه من الحسيّات ولا يعلمون ما وراء ذلك ، مثل أن يعلموا أن البخار المتصاعد ينعقد سحاباً ، وأن السحاب إذا أصططك حدث عنه صوت ، ونحو ذلك ؛ لكن علمهم بهذا كعلمهم بأن المني يصير في الرحم ، لكن ما الموجب لأن يكون المني المتشابه الأجزاء تُخلق منه هذه الأعضاء المختلفة والمنافع المختلفة على هذا الترتيب المحكم المتقن الذي فيه من الحكمة والرحمة ما بهر الأبواب !؟) انتهى ^(١) .

هذا هو مذهب أهل العلوم التجريبية الذين يزعمون أنهم لا يؤمنون

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

إلا بالمحسوس ، وتأمل قوله : (ولا يعلمون ما وراء ذلك) تجد أن هذه العلوم التي ملأت الدنيا في زماننا تدور على هذا الفلك - أي فلك الأسباب المقطوعة عن المسبب سبحانه وتعالى - .

وهل انعزل المَلِك الحق عن ملكه لما عزله الخلق ؟! .. لقد ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ! ^(١) .

وقال ابن القيم - أيضاً - عن الطبيعة : (ولم يعلم هؤلاء الجهال الضُّلَّال أن الطبيعة قوَّة وصِفَة فقيرة إلى محلها ومحتاجه إلى حامل لها ، وأنها من أدل الدلائل على وجود أمر مَن طَبَعَهَا وخلَقَهَا وأودَّعَهَا الأجسام ، وجعل فيها هذه الأسرار العجيبة ؛ فالطبيعة مخلوق من مخلوقاته ، ومملوك من ممالكه وعبيده ، مسخَّرة لأمره تعالى ، مُنْقَادَة لمشيئته .

ودلائل الصَّنَعة ، وأمارات الخلق ، والحدوث وشواهد الفقر والحاجة شاهدة عليها بأنها مخلوقة مصنوعة لا تخلق ، ولا تفعل ، ولا تتصرف في ذاتها ونفسها ، فضلاً عن إسناد الكائنات إليها) انتهى ^(٢) .

وقال - رحمه الله - عن الطبيعة وتفاعلات عناصرها وآثارها ، قال : (فعناصر العالم ومَوَادُّهُ مُنْقَادَة لربها وفاطرها وخالقها يُصَرِّفُهَا كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء أرادها ، بل هي طَوَّع مشيئته ، مُذَلَّلَة

(١) سورة غافر ، من الآية : ٨٣ .

(٢) طريق المحرتين ، ص (١٥٢) .

مُنْقَادَةٌ لِقُدْرَتِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَكَفَرَ بِهِ ، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ (انتهى ^(١)) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - في كلام له نفيس يضع فيه الطبيعة موضعها الصحيح ، وأن الربَّ سبحانه بتصرفه فيها وتقليبه أحوالها : (يُظْهِرُ عَلَيْهَا أَثَرَ الْقَهْرِ وَالتَّسْخِيرِ وَالْعِبَادِيَّةِ ، وَأَنَّهَا مَصْرُفَةٌ مَدْبُورَةٌ بِتَصْرِيفِ قَاهِرٍ قَادِرٍ كَيْفَ يَشَاءُ ، لِيَدُلَّ عِبَادَهُ عَلَى أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْفَاعِلُ لِمَا يَرِيدُ الْمَدْبُورُ لَخَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْمَمْلَكَةِ الْإِلَهِيَّةِ طَوْعًا قُدْرَتُهُ وَتَحْتَ مَشِئَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَسْتَقِلُّ وَحْدَهُ بِالْفِعْلِ إِلَّا اللَّهُ) .

وذكر - رحمه الله - أن الأسبابَ هي مظهرُ أفعالِ الربِّ سبحانه وحكمته ، ومع ذلك فقد جعل سبحانه للأسباب ما يُعَاوِقُهَا وَيُمَانِعُهَا وَيُسَلِّبُهَا تَأْثِيرَهَا ، فتارةً يسلب سبحانه النارَ إحراقها ويجعلها بَرْدًا كما جعلها على خليله بَرْدًا وسلامًا ، (وتارةً يمسك بين أجزاء الماء ، فلا يتلاقى كما فعل بالبحر لموسى وقومه ، وتارةً يشق الأجرام السماوية كما شق القمر لخاتم أنبيائه ورسله ، وفتح السماء لمصعده وعروجه ، وتارةً يقلب الجُمَادِ حَيَوَانًا كَمَا قَلَبَ عَصَا مُوسَى ثَعْبَانًا ، وتارةً يغير هذا النظامَ وَيُطْلِعُ الشَّمْسَ مِنْ مَغْرِبِهَا كَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَصْدَقُ خَلْقِهِ عَنْهُ ، فَإِذَا أَتَى الْوَقْتُ الْمَعْلُومَ فَشَقَّ السَّمَوَاتِ وَفَطَّرَهَا ، وَنَثَرَ الْكَوَاكِبَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَنَسَفَ جِبَالَ الْعَالَمِ

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ودَكَّهَا مع الأرض ، وكوَّرَ شمسَ العالمِ وقَمَرَه ، ورأى ذلك الخلائق عياناً ..
ظهرَ للخلائق كلهم صدقه وصدقَ رسله وعموم قدرته وكمالها ، وأن العالمَ
بأسره منقادٌ لمشيئته ، طَوْعَ قدرته ، لا يستعصي عليه انفعاله لما يشاؤه ويريده
منه ، وَعَلِمَ الذين كفروا وكذَّبوا رسلَه من الفلاسفة والمنجمين والمشرِكين
والسفهاء الذين سموا أنفسهم " الحكماء " أنهم كانوا كاذبين (انتهى ^(١) .

ولقد أصبحت الحوادث في زماننا تُنسَب إلى أسبابها مقطوعة عن مُقدِّرها
ومُدبِّرها سبحانه وتعالى ، ولذلك رحل الخوف من القلوب ، أمَّا المؤمن
فتنفذ بصيرته من الأسباب ، والتعلق بها ، والجَوْلان في محيطها إلى الفاعل
الحق سبحانه ؛ فيخافه ويرجوه ويُحِبُّه .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (الله سبحانه غطى حقائق الأشياء
عن أبصار الخلق بما يُشاهدونه من تعلق المسببات بأسبابها فنسبوها إليها)
انتهى ^(٢) .

تأمل قوله : (فنسبوها إليها) وكأنه - رحمه الله - يصف أهل وقتنا ،
فالكلام عن آية الزلازل إذا وقعت تملأ الدنيا الكتابة عنها ، وذكرها ،
ودقة التفاصيل في ما تُحدثه من دمار وهلاك ، ويُغفل ذكر الله الفاعل ،
بينما لا يُغفل ذكر (ريختر) ومقياسه ، كذلك الأعاصير وغيرها ! .

(١) مفتاح دار السعادة ، ٢ / ١٦٣ .

(٢) مدارج السالكين ، ٣ / ٥٠٤ .

نَعَمْ .. لقد شُغِلَ أهل الوقت عن حقائق الأمور بالظواهر والقشور ، فلم يَعُدْ للآيات تأثير كما كان في الماضي ، حيث يحصل الخوف من مالك المُلْك سبحانه ، فيرجع الخلق إلى ربهم بالتوبة والذل والانكسار ، وهذا من ثمار هذه الآيات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(٢) .

قال ابن القيم - رحمه الله - عن الزلازل : (ولما كانت الرياح تجول فيها - يعني الأرض - ، وتدخل في تجاويفها ، وتحدث فيها الأبخرة ، وتحقق الرياح ، ويتعذر عليها المنفذ .. أذن الله سبحانه لها في الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام ، فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معاصيه والتضرع إليه والندم ، كما قال بعض السلف - وقد زلزلت الأرض - : " إن ربكم يستعيبكم " ، وقال عمر بن الخطاب - وقد زلزلت المدينة - فخطبهم ووعظهم وقال : " لئن عادت لا أساكنكم فيها ") انتهى ^(٣) .

تأمل قوله - رحمه الله - : (فيحدث من ذلك لعباده الخوف ، والخشية ، والإنابة ، والإقلاع عن معاصيه والتضرع إليه والندم) ، وهل

(١) سورة الإسراء، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .

(٣) مفتاح دار السعادة ، ١ / ٢٢١ .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

يوجد شيء من هذا في زماننا ، أم هو الانشغال بـ (ريجتر) ومقياسه ، وكم هلك بالزلازل ؟! ، وما الذي دمّره ؟! ، وانتهى الأمر ! ؛ وهذا من علامات الخذلان والحِرمَان - نسأل الله السلامة والعافية - .

لقد جاء عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : (إن المرأة إذا خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب ، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً ، فإذا استحلوا الزنا وشربوا الخمر بعد هذا وضربوا المعازف غار الله في سمائه فقال للأرض : [تزلزلي بهم] ، فإن تابوا ونزَعُوا وإلا هدمها عليهم " (١) ، فتأمل ذلك ، ونسأل الله أن يلطف بنا وبالمسلمين ، وأن لا يؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعل السفهاء منا .

وكذلك الكسوف فإنه يُحدِّد وقته ومقداره في المواضع المختلفة في الأرض ومُدَّتَه بتفاصيل دقيقة ، وكل ذلك انشغال بالقشور عن الحقيقة ، وذلك أن المراد تخويف العباد ليعملوا ما أمروا به عند وقوع هذه الآيات - كما تقدم بيانه - من التوبة والإقلاع عما يسخط الله ، وما نرى هذه الآيات إلا سُلِّيت معناها ، بل صارت تزيد الضالين ضلالاً ، والمُدبرين إعراضاً ! .

(١) أخرجه الحاكم في " مستدركه " برقم (٨٥٧٥) ، ونعيم بن حماد في " الفتن " برقم (١٧٢٩) من حديث أنس بن مالك ، وقال الحاكم (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ، وتجدده كاملاً في ص (١٠٩ - ١١٠) .

وعن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه - رضي الله عنه - قال : (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بَلَغَ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ^(١) .. كاد قلبي أن يطير) ^(٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : (أي وُجِدُوا من غير مُوجدٍ ؟! ، أم هم الذين أوجدوا أنفسهم ؟! - أي لا هذا ولا هذا - ؛ بل الله هو الذي خَلَقَهُمْ وأنشأهم بعد أن لَمْ يكونوا شيئاً مذكوراً) انتهى ^(٣) .

ولو فهم الطبائعُيون الداروينيون القرديون هذه الآية كما فهمها جُبَيْر - رضي الله عنه - لَعَلِمُوا يقيناً أن موادَّ العالم مخلوقة ومُصَرَّفة أيضاً ، وأنه لا شيء يخلق نفسه ويكوِّنها ، ولا ريب أنه لو قيل لهم : " إن عِمارةً بَنَتْ نفسها ، وسيارةً كوَّنتَ نفسها " لقالوا : " هذا مُحال بل لا بُدَّ من صانع " .

وإذا كان هذا يُعلم ببدهة العقل فكيف سَاعَ عزَل الملك المالك المدبِّر عن تصرُّفه في مُلكه ؟! ، حتى قريش لم تفعل هذا ، ففي القرآن بيان تضرعهم في الشدائد ، فأين حتى فعل (قريش) في زماننا ؟! .



(١) سورة الطور ، الآية : ٣٥ .

(٢) رواد البخاري برقم (٤٥٧٣) .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٢٤٤ .

**بهذا الكنز العظيم نعرف أن (الطبيعة)
ليست مستقلة بذاتها**

إن المؤمن معه في الدنيا كنز من كنوز الجنة ورثته من نبيه ﷺ يقيس به كل حركة وسكون في هذا الكون لا سيما هذه الآيات العظيمة من الكسوف والزلازل والأعاصير وغيرها ، وهذا الكنز هو : (لا حول ولا قوة إلا بالله)^(١) .

فهذه الكلمة شأنها عظيم - كما ذكر ابن القيم رحمه الله في بيان معناها - ، حيث قال : (فإن العالم العلوي والسفلي له تحوّل من حال إلى حال [يعني من سكون إلى حركة ، ومن حركة إلى سكون .. على تنوّع ذلك] ، وذلك التحوّل لا يقع إلا بقوة يقع بها التحوّل ، فكذلك الحول ، وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل ، فيدخل في هذا كل حركة في

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري " عبد الله بن قيس " - رضي الله عنه - قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ : (أيها الناس ! .. أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً ، وهو معكم) ، قال : وأنا خلفه ، وأنا أقول " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، فقال : (يا عبد الله بن قيس ! : ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟) ، فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : (قل : " لا حول ولا قوة إلا بالله ") .

العالم العلوي والسفلي وكل قوة على تلك الحركة) انتهى ^(١) .

تأمل قوله - رحمه الله - : " وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل " .. إن معرفة ذلك معرفة قلب مع التوفيق تخرجك من النظر إلى الأسباب مقطوعة عن الفاعل سبحانه في كل حركة وسكون في الكون لاسيما الآيات الكبرى مثل الأعاصير والزلازل وغيرها كما تقدم بيانه .

قال شيخ الإسلام : (فلفظ " الحول " يتناول كل تحوّل من حال إلى حال ، و " القوة " هي القدرة على ذلك التحوّل ، فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحوّل من حال إلى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله) انتهى ^(٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - على كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) : (ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزاً من كنوز الجنة فأوتيتها النبي ﷺ من كنز تحت العرش ، وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمّة الأمور بيديه وفوّض أمره إليه) انتهى ^(٣) .

(١) شفاء العليل ، ص (١١٢) .

(٢) كتاب " شرح حديث النزول " ، ص (١٨٦) .

(٣) شفاء العليل ، ص (١١٢) .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ولا عجب .. فإن هذا الكنز العظيم يَعْقِدُ لك معاقِدَ توحيدِ الربوبيةِ الذي هو توحيد فعل الرب سبحانه ، ومُلْكِيَّتِهِ ، وتدبيره شأنَ مملكته .

كما أن (لا إله إلا الله) تعقد لك معاقِدَ توحيدِ الإلهية والعبودية الذي هو توحيد أفعالك ، فيبقى التوحيد الثالث .. وهو الذي يتضمن معرفة الله سبحانه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی .

إن مَنْ يعتقد استقلال الأسباب بالتأثير معطّل ، وَمَنْ يعتقد أن الاستقلال بالتأثير في الكون ليس إلا لقدرة الإله - عز وجل - لكنه لا يذكره ولا ينقاد لطاعته فهو ضال .

لقد تابعت آيات من الزلازل والكسوفات والأعاصير والوباء والحروب ولا شيء يتغير إلا زيادة مبارزة الرب بما يزيد غضبه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .



الأشياء التي يحصل بها اليقين ، وأنواع
التفكر والاعتبار

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - فيما يحصل به اليقين ، وأنه بثلاثة
أشياء :

(أحدها : تدبر القرآن .

والثاني : تدبر الآيات التي يُحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه
حق - يعني القرآن - .

والثالث : العمل بموجب العلم ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي
الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(١) ، والضمير عائد على القرآن [يعني قوله تعالى :
﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾] .

ثم قال : (فبيّن سبحانه أنه يُري الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات
المسموعة مع أن شهادته بالآيات المسموعة كافية) .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ثم قال : (وأما الآيات المشهودة فإنه ما يُشْهَد ويُعَلَم بالتواتر من عقوبات مكذّبي الرسل ومَن عصاهم ، وَمِن نَصْرِ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي وَقَعَ ، وما عَلِمَ مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ ، وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، وَجَعَلَ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ .. فِيهِ عِبْرَةٌ تُبَيِّنُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُوَافِقُ الْقُرْآنَ) انتهى ^(١) .

وأنا أسوق هذا عِظَةً إِلَى مَنْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ شَبُّوا عَنِ الطُّبُوقِ مِنْ قَوْمِنَا بِزَعْمِهِمْ ، وَفَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) ، لِأَنَّ الشَّأْنَ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِالْعِظَةِ ، وَهِيَ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - : (نَوْعَانِ : عِظَةٌ بِالْمَسْمُوعِ ، وَعِظَةٌ بِالْمَشْهُودِ .

فَالْعِظَةُ بِالْمَسْمُوعِ : الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْهُدَى وَالرُّشْدِ وَالنَّصَائِحِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ وَمَا أَوْحَى إِلَيْهِمْ ، وَكَذَلِكَ الْإِنْتِفَاعُ بِالْعِظَةِ مِنْ كُلِّ نَاصِحٍ وَمُرْشِدٍ فِي مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

وَالْعِظَةُ بِالْمَشْهُودِ : الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَرَاهُ وَيَشْهَدُهُ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَوَاقِعِ الْعِبَرِ ، وَأَحْكَامِ الْقَدَرِ وَمَجَارِيهِ ، وَمَا يَشَاهِدُهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى

(١) مجموع الفتاوى ، ٣ / ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

صدق رسله) انتهى ^(١) .

فهذه الزلازل والأعاصير وسائر الكوارث التي يُحدثها الله في الكون عظة بالمشهود ، واعتبار لمن يعتبر .

فتفكر الآن بما أحلَّ بِمَنْ أشبهوا الذين قالوا : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً ﴾ ^(٢) وتشابه صفاتهم ؛ قال ابن تيمية - رحمه الله - : (وأما عاد [قوم هود - عليه السلام -] فذكر الله عن عاد التجبر وعمارة الدنيا) ^(٣) .

ولقد كان السلف تُفيدهم الآيات الرجوعَ إلى ربهم ، والتوبة من ذنوبهم ، وسأذكر في الباب التالي - إن شاء الله - أمثالا لهذه الأحوال ، وما الذي يُؤمّننا وقد تعدّى السيل الزُّبى ؟!



(١) مدارج السالكين ، ١ / ٤٤٤ .

(٢) سورة فصلت ، الآيات : ١٤ - ١٥ .

(٣) النبوات ، ص (٥٧) .

**ذَكَرَ حَوَادِثَ عَظِيمَةٍ مِنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ تَبِينَ وَقُوعُ
عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ ،
وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ لِمَنْ يَتَعَبَّرُ**

وهنا سأنتقل من دواوين أهل الإسلام بعضَ ما جرى على المسلمين من الحوادث والكوارث المدهشة لئلا يظن من يدّعي الإسلام أنه في أمان ، فما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره ، ولعلنا نرجع إلى ربنا بتوبة صادقة .

والمراد من نقل بعض ما ذكره العلماء والمؤرخون من هذه الآيات والحوادث العظيمة لِمَا يظهر فيها من العبرة لمن يعتبر والازدجار لمن يزدجر ، ونعوذ بالله أن نكون ممن قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، أو الذين قال عنهم : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(٢) ، أو الذين قال عنهم : ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٣) .

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

وفيما يلي بعض ما جرى في القديم والحاضر من العقوبات الربانية والآيات الإلهية ، وفي أكثر ما سأذكره من هذه الحوادث ذكر ما يفعله الناس أثناء حصولها من الخوف من الله تعالى ، ودعائه ، والتوبة إليه ؛ وهذا هو الذي عليه المؤمن الموفق .

• من أحداث سنة (٦٩ هـ) :

في سنة تسع وستين أصاب أهل البصرة طاعون جارف ، دام لأربعة أيام ، فمات في اليوم الأول سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلاً من آحاد الناس ^(١) .

• من أحداث سنة (٢٢٦ هـ) :

قال ابن الجوزي : (وفي سنة ست وعشرين ومائتين مُطِرَ أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة وستين إنساناً ، وهدم دوراً ، وسُمع في ذلك صوتٌ يقول : " ارحم عبادك ، اعفُ عن عبادك " ، ونظروا إلى أثرِ قدمٍ طولها ذراع بلا أصابع ، وعرضها شبران ، الخطوة إلى الخطوة

(١) أنظر : البداية والنهاية ٨ / ٢٦٢ ؛ وقال ابن كثير : (قال ابن جرير وفي هذه السنة [سنة ٦٦ هـ] كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزي في " المنتظم " : كان في سنة أربع وستين ؛ وقد قيل إنما كان في سنة تسع وستين ، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره) والله أعلم .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

خمس أذرع ، أو ستّ ، فاتبعوا الصوت ، فجعلوا يسمعون صوتاً ، ولا يرون شخصاً !) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٢٣٣ هـ) :

قال الذهبي في أحداث سنة ثلاث وثلاثين ومائتين : (فيها كانت الزلزلة المهولة بدمشق ، دامت ثلاث ساعات ، وسقطت الجدران ، وهرب الخلق إلى المصلى يجأرون إلى الله ، ومات عدد كبير تحت الرّدم ، وامتدت إلى أنطاكية ، فيقال " إنه هلك من أهلها عشرون ألفاً " ، وامتدت إلى الموصل ، فزعم بعضهم أنه هلك بها تحت الردم خمسون ألفاً) انتهى ^(٢) ؛ وكذا قال اليافعي ^(٣) .

• من أحداث سنة (٢٤٠ هـ) :

قال السيوطي : (وفي سنة أربعين ومائتين سَمِعَ أهل أخلاط صيحة عظيمة من جوّ السماء فمات منها خلق كثير ، ووقع برّدٌ بالعراق كبيض الدجاج ، وخُسِفَ بثلاث عشرة قرية بالمغرب) ^(٤) .

(١) تلقّيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص (٦٤) ، وقال ابن الجوزي عَقِبَ ذكر هذه الحادثة : ذكر جميع ذلك محمد بن حبيب الهاشمي في تاريخه .

(٢) العبر في خبر من عَبر ، ١ / ٤١٣ .

(٣) في : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٢ / ١٠٨ .

(٤) تاريخ الخلفاء ، ص (٣٤٨) .

• من أحداث سنة (٢٤٢ هـ) :

١ - قال ابن العماد الحنبلي في أحداث سنة اثنتين وأربعين ومائتين : (وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقُم وقاشان ، كلها في وقت واحد ، وتقطعت جبال ، ودنا بعضها من بعض ، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية) .

ثم قال : (وزلزلت الدامغان فسقط نصفها على أهلها فهلك بذلك خمسة وعشرون ألفاً ، وسقطت بلدان كثيرة على أهلها) ^(١) .

وقال ابن كثير بأنه في هذه السنة أصاب أهل الرِّي زلزلة شديدة جداً ، وتبعثها رجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق كثير ، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء ^(٢) .

٢ - ووقع في هذه السنة بحلب طائر أبيض دون الرحمة في شهر رمضان فصاح :

[يا معشر الناس .. اتقوا الله ، الله ، الله] ؛ وصاح أربعين صوتاً ، ثم طار ، وجاء من الغد ففعل كذلك ، وكتب البريد بذلك ، وأشهد عليه

(١) شذرات الذهب ، ٢ / ٩٩ .

(٢) البداية والنهاية ، ١١ / ٤ .

خمسائة إنسان سمعوه ^(١) .

• من أحداث سنة (٣٠٤ هـ) :

في سنة أربع وثلاثمائة وقع الخوف في بغداد من حيوان يقال له " الزبزب " ذكر الناس أنهم يرونه بالليل على الأسطح ، وأنه يأكل الأطفال ، ويقطع ثدي المرأة ، فكانوا يتحارسون ، ويضربون بالطاسات ليهرب ، واتخذ الناس لأطفالهم مكاب ، ودام عدة ليال ^(٢) .

• من أحداث سنة (٣٤٤ هـ) :

في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة زلزلت مصر زلزلة صعبة ، هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس إلى الله بالدعاء ^(٣) .

• من أحداث سنة (٣٤٦ هـ) :

في سنة ست وأربعين وثلاثمائة نقص البحر ثمانين ذراعاً ، وظهر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تعهد ! ، وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة ،

(١) تاريخ الخلفاء ص (٣٤٨) ، والمنظم ١١ / ٢٩٥ ، وتلقيح فهم أهل الأثر لابن الجوزي ص (٦٤) ، وشذرات الذهب ٢ / ١٠٠ ، والنجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص (٣٨١) ؛ وذكره ابن الأثير في الكامل ، ٦ / ٤٩٥ ؛ والهمداني في تكملة تاريخ الطبري ص (١٧) .

(٣) أنظر : تاريخ الخلفاء ، ص (٣٩٩) .

وخسف ببلد الطالقان ، ولم يُفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً ،
 وخُسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري ، واتصل الأمر إلى حلوان
 فحُسف بأكثرها ، وقذفت الأرض عظام الموتى ، وتفجرت منها المياه ،
 وتقطع بالريّ جبل ، وعُلّقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف
 النهار ، ثم خُسف بها ، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة ، وخرج منها مياه
 مُنتنة ودخان عظيم ؛ هكذا نقل ابن الجوزي ^(١) .

• من أحداث سنة (٤٢٥ هـ) :

١ - ذكر ابن كثير أنه في سنة خمس وعشرين وأربعمئة كثرت
 الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئاً كثيراً ، ومات تحت الهدم خلق كثير ،
 واهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعها تقطيعاً ، وخرج أهلها منها هارين
 فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا إليها ، وخُسف بقرية
 البارزاد وبأهلها وبقرها وغنمها ، وساخت في الأرض ، وكذلك قرى
 كثيرة هنالك ^(٢) .

٢ - وذكر ابن الجوزي أنه في هذه السنة عَصَفَتْ رِيحٌ سوداء
 بنصيبين [في العراق] ، فألقت شيئاً كثيراً من الأشجار كالتوت والجوز

(١) المصدر السابق ، ص (٤٠٠) .

(٢) البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٦ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

والعَنَاب ، واقتلعتُ قصراً مُشَيِّداً بحجارة وآجر وكِلْس ، فألقته وأهله ، فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف والزنود والأصابع ، وجَزَرَ البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك ، فرجع البحر عليهم فهلكوا ، وفيها كثر الموت بالخَوَانِيقِ حتى كان يُغلق الباب على من في الدار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفاً^(٢) .

• من أحداث سنة (٤٣٤ هـ) :

قال ابن كثير في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة : (وفيها وقعت في مدينة تبريز [الفارسية] زلزلة عظيمة ، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، ومن دار الإمارة عامة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً^(١) .

• من أحداث سنة (٤٤١ هـ) :

ذكر ابن الجوزي أنه في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ارتفعت سحابة سوداء - في أرض العراق - ، فرادت على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضئية ، فانزعج الناس ، وخافوا ، وأخذوا في الدعاء والتضرع ، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت

(١) أنظر المصدر السابق .

(٢) البداية والنهاية ، ١٢ / ٥٠ .

قد هبَّت ريحٌ شديدةٌ جداً قبل ذلك ، فأتلّفت شيئاً كثيراً من الأشجار ،
وهدمت رَواشِنَ كثيرةً في دار الخلافة ودار المملكة ^(١) .

• من أحداث سنة (٤٤٨ هـ) :

قال ابن كثير : (وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رجع غلاء شديد
على الناس ، وخوفٌ ونهبٌ كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث
دُفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين ، وغلَّت الأشربة وما تحتاج إليه
المرضى كثيراً ، واعتري الناس موت كثير واغْبَرَّ الجو وفسد الهواء ؛ قال ابن
الجوزي : " وعمَّ هذا الوباء والغلاء مكة ، والحجاز ، وديار بكر والموصل
وبلاد الروم ، وخراسان ، والجبال ، والدنيا كلها " ، هذا لفظه في "المنتظم"
قال : " ورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور
فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، والثاني على رأس
الدرجة ، والثالث على الثياب التي كَوَّرَها ليأخذها فلم يُمَهَّل " ^(٢) .

• من أحداث سنة (٤٤٩ هـ) :

قال ابن كثير - رحمه الله - : (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة
فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد بحيث خلَّت أكثر

(١) أنظر المصدر السابق ، ١٢ / ٥٩ .

(٢) أنظر : البداية والنهاية ١٢ / ٦٨ .

الدور ، وسُدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المارّ في الطريق لا يلقى إلا الواحد بعد الواحد .

وأكل الناس الجيف والتّن من قلة الطعام ، وَوُجِدَ مع امرأة فَخِذِ كلب قد اخضرّ ، وشوى رجلٌ صَبِيَّةٍ في الأتون وأكلها ! ، وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه ! .

ورود كتابٌ من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصي من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كُتِبَ فيه الكتاب بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان ، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطُرقات خالية وأبواباً مغلقة ووحشة وعدم أنيس ، وحكاة ابن الجوزي .. قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لا يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جداً ! .

ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها حتى طَبَّقَ البلاد ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب ، وينبشون القبور ، ويشوون الموتى ويأكلونهم ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم ، فكان يُحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون ! .

وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المُهجة فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته ! .

وتاب الناس وتصدّقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحداً يقبل منهم ، وكان الفقير تُعَرِّض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب ، فيقول : " أنا أريد كسرة ، أريد ما يسد جوعي " فلا يجد ذلك ! ، وأراق الناس الخمر وكسروا آلات اللهو ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن ، وقلّ دارٌّ يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ! .

ودُخِلَ على مريض له سبعة أيام في التَّرع ، فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر ، فأراقوها ، فمات من وقته بسهولة .

ومات رجل في مسجد ، فوجدوا معه خمسين ألف درهم فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد ، فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدوها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها ، فلم يخرج من المسجد منهم أحدٌ حيٍّ بل ماتوا جميعاً .

وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشغل عليه سبعمائة مُتَفَقِّه فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرًا منهم .

وأرسل السلطان رسولاً إلى بعض النواحي ، فتلقاه طائفة فقتلوه

وشَوَّهَ وأَكَلُوهُ !) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٤٥٥ هـ) :

ذكر ابن كثير أنه في سنة خمس وخمسين وأربعمائة كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس ، وفيها وقع بالناس مُوتان ^(٢) بالجدري والفجأة ، ووقع بمصر وباء شديد ، وكان يخرج منها كل يوم ألف جنازة ^(٣) .

• من أحداث سنة (٤٦٠ هـ) :

قال ابن الأثير في أحداث سنة ستين وأربعمائة : (وفيها في جمادى الأولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة ، خربت الرملة ، وطلع الماء من رؤوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة ، وانشقت الصخرة بالبيت المقدس ، وعادت بإذن الله تعالى ، وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم ، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه ، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً) انتهى ^(٤) .

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ٧٠ .

(٢) الموتان بضم الميم ، وهو الموت الكثير الوقوع ؛ أنظر : لسان العرب لابن منظور ٢ / ٩٣ .

(٣) البداية والنهاية ، ١٢ / ٨٩ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٨١ .

• من أحداث سنة (٤٦٢ هـ) :

قال ابن كثير : (وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة كان غلاء شديد بمصر ، فأكلوا الجيف والميتات والكلاب ، فكان يباع الكلب بخمسة دنائير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ؛ ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع ، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فضلبوها ، فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤوسهم وأطرافهم ويبيع لحومهم فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد لا يتحاسرون يدخلون لئلا يُخطف ويُنهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهاراً وإنما يدفنه ليلاً خفية لئلا يُنبش فيؤكل ^(١) .

واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف مُحلّى ، وثمانون ألف قطعة بلّور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة ، من الديباج القديم ،

(١) وهذا لا يفعله أهل الإيمان والعقل ، فذبح بني آدم وأكل لحومهم وأكل لحوم الموتى شيء ، وحل الميتة ونحوها للمضطر شيء آخر .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وبيعت ثياب النساء والرجال ، وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ^(١) .

• من أحداث سنة (٤٨٥ هـ) :

في سنة خمس وثمانين وأربعمائة جاء بَرْدٌ شديد عظيم بالبصرة ، وَزُنَ الواحدة منها خمسة أرتال إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلقت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاءت ريحٌ عاصف قاصف ، فألقت عشرات الألوفاً من النخيل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .. ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ^(٢) (٣) .

• من أحداث سنة (٥٢٤ هـ) :

في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة بالعراق ، تهدم بسببها دورٌ كثيرة ببغداد ، ووقع بأرض الموصل مطرٌ عظيم ، فسقط بعضه ناراً تأجج ، فأحرقت دوراً كثيرة وخلقاً من ذلك المطر وهارب الناس ، وفيها وُجِدَ ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان فخاف الناس منها خوفاً شديداً ^(٤) .

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ٩٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .

(٣) البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٩ .

(٤) البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٠٠ .

• من أحداث سنة (٥٣١ هـ) :

قال ابن كثير في أحداث سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة : (وفيها كثر موتُ الفجأة بأصبهان ، فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة .
وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ، وسقط برَدٌ كبار) ^(١) .

• من أحداث سنة (٥٣٣ هـ) :

أما أحداث سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فقد قال الذهبي فيها :
(قال ابن الجوزي : فيها كانت زلزلة عظيمة بجنزة [الفارسية] أتت على مئة ألف وثلاثين ألفاً أهلكتهم ، فسمعت شيخنا ابن ناصر يقول : " إنه خسف بجنزة ، وصار مكان البلد ماء أسود " .

وأما ابن الأثير فذكر ذلك في سنة أربع الآتية ، وأن الذين هلكوا مائتا ألف وثلاثون ألفاً) انتهى ^(٢) .

وذكر ابن كثير أنه في هذه السنة زلزل أهل حلب في ليلة واحدة

(١) المصدر السابق ، ١٢ / ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) المعبر في أخبار من غير ، ٩١ / ٤ .

ثمانين مرة (١)

• من أحداث سنة (٥٤٤ هـ) :

في سنة أربع وأربعين وخمسمائة زُلزلت الأرض زلزالاً شديداً ،
وتموجت الأرض عشر مرات ، وتقطع جبل بجلوان ، وانهدم الرباط النهر
جوري ، وهلك خلق كثير بالبرسام (٢) لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا (٣).

• من أحداث سنة (٥٤٩ هـ) :

قال العاصمي المكي : (وفي " قلادة النحر " في حوادث سنة تسع
وأربعين وخمسمائة .. كانت قصة أهل قرية المعلق ، وهي قرية بين الكدر
والمهجم من أعمال تهامة اليمن ، وفي " كفاية المستبصر " هما قريتان اسم
أحدهما معلق والأخرى سحلة ، أرسل الله عليهما سحابة سوداء فيها
رجف ، وبرق ، وشعل نارٍ تلتهب ، وريح ، فلما رأوا ذلك زالت عقولهم
فالتجأ منهم قومٌ إلى المساجد ، فغشيهم العذاب فاحتملت الريح أصل
القريتين من تحت الثرى بمساكنهم بمن فيها من الرجال والنساء والأطفال

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ٢١٥ .

(٢) قال المناوي في كتابه (التعاريف ، ص ١٣٤) : (البرسام : ورَم حار ، يعرض للحجاب الذي بين الكبد
والأمعاء ، ثم يتصل إلى الدماغ ؛ قال ابن دريد : وهو معرب) انتهى .

(٣) البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٢٥ .

والدواب فألقتهم بمكان بعيد نحو خمسة أميال من حيث احتملتهم ، فوجدوا حيث ألقتهم صرعى ، ولبعضهم أنين وهم صُمٌّ وَبُكْمٌ وعمي ، فماتوا عن آخرهم يومهم ، نسأل الله السلامة والعافية لنا ولجميع المسلمين) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٥٥٢ هـ) :

قال شهاب الدين المقدسي عن زلازل هائلة ضربت الشام : (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة ، ففي ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلتها أخرى ، وكذا في ليلة العشرين و اليوم بعدها ، وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بعظيم تأثير هذه الزلازل .

وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الأولى وافت أربع زلازل وضح الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس .

ووردت الأخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث تهدمت حَمَاة وقلعتها ، وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والأطفال والنسوان ، وهم العدد الكثير والجَم الغفير بحيث لم يسلم منهم إلا القليل اليسير ! .

(١) سمط النجوم العوالي ، ٥٠٦ / ٣ .

و أما حَلَبَ فهدمت بعض دورها وخرج أهلها منها إلى ظاهر البلد ، وكفر طاب ، وأفامية ، وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعازل إلى جبلة ، وجبيل ، فأثرت بها الآثار المستبشعة ، وأتلفت سلمية وما اتصل بها إلى ناحية الرحبة وما جاورها ، ولو لم يدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى ولطفه ورأفته لكان الخطب أفظع ! .

وقد نَظَمَ في ذلك مَنْ قال :

بقضاء قضاء ربِّ السماء
أهلكتُ أهلَهُ بسوءِ القضاء
وثغوراً موثقاتِ البناء
أجرتِ الدمعَ عندها بالدماء
سابقٌ في عِبادِهِ بالمضاء
إِنَّ لَهُ فطنةً وحُسْنَ ذكاءٍ
من مُروءاً من سَخطةٍ وبلاءٍ
عَنْ مَقَالِ الْجُهَالِ وَالسُّفْهَاءِ

روَعَتْنَا زَلَّازِلُ حَادِثَاتٍ
هَدَمَتْ حَصْنَ شَيْزِرٍ وَحِمَاهُ
وبلاداً كثيرةً وحصوناً
فإذا ما رَئَتْ عِوْنَ إِلَيْهَا
وإذا ما قَضَى مِنَ اللَّهِ أَمْرٌ
حَارَ قَلْبُ اللَّيْبِ فِيهِ وَمَنْ كَا
وتراه مُسَبَّحاً بِأَكْيَ الْعِيَا
جَلَّ ربي فِي مُلْكِهِ وَتَعَالَى

وأما أهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها ، وأجفلوا من منازلهم والمسقف إلى الجامع والأماكن الخالية من البنيان خوفاً على أنفسهم ، ووافت بعد ذلك أخرى ، ففتح البلد وخرج الناس إلى ظاهره والبساتين والصحراء وأقاموا عدة ليال

وأيام على الخوف والجزع ، يسبحون ويهللون و يرغبون إلى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم و العفو عنهم .

وفي الرابع و العشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة روعت الناس وأزعجتهم لما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها .

ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة ، فقلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير وأنها كانت بحماة أعظم مما كانت في غيرها ، وأنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجأ إليها ، وأنها دامت فيها أياماً كثيرة ، في كل يوم عدة وافرة من الرجفات الهائلة يتبعها صيحات مختلفات تُوفي على أصوات الرعود القاصفة المزعجة ، فسبحان من له الحكم و الأمر .

وتلا ذلك ردفات متوالية أخف من غيرهن ، فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة عشاء الآخرة أزعجت وأقلقت وتلاها في إثرها هزة خفيفة .

وكذا ليلة العاشر من ذي القعدة وفي غدها زلازل ، وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه أيضاً زلازل ، نفر الناس من هولها إلى الجامع والأماكن المنكشفة ، وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

والتضرع إلى الله تعالى) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٥٦٩ هـ) :

ذكر ابن الجوزي في تأريخه " المنتظم " في أحداث سنة تسع وستين وخمسمائة بأنه سقط عندهم ببغداد برّد كبار كالنارج ، ومنه ما وزّنه سبعة أرتال .

ثم أعقب ذلك سيل عظيم وزيادة عظيمة في دجلة لم يُعهد مثلها أصلاً فخرّب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج والابتهال إلى الله ، حتى فرّج الله عزّ وجلّ ، وتناقصت زيادة الماء - بحمد الله ومنّه - .

وأما الموصل فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد ، واهدم بالماء نحو من ألفي دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الهدم خلق كثير ^(٢) .

• من أحداث سنة (٥٧٥ هـ) :

ذكر ابن كثير أنه في سنة خمس وسبعين وخمسمائة كانت زلزلة عظيمة اهدمت بسببها قلاعٌ وقرى ، ومات خلق كثير من الورى ، وسقط من

(١) أنظر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين " النورية والصلاحية " ، ١ / ٣٣٢ - ٣٣٥ .

(٢) أنظر : البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٧٣ .

رؤوس الجبال صخور كبار ، وصادمت بين الجبال في البراري والقفار ، مع بُعد ما بين الجبال من الأقطار ؛ وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شديد وجهد جهيد ، فمات خلق بهذا وهذا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ^(١) .

• من أحداث سنة (٥٩٣ هـ) :

١ - ذكر السيوطي أنه (في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة انقض كوكبٌ عظيم سُمِعَ لانقضاضه صوت هائل ، واهتزت الدور والأماكن ، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء ، وظنوا ذلك من أمارات القيامة) ^(٢) .

٢ - وقال ابن كثير - رحمه الله - في حوادث هذه السنة : (فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه : أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض [في مصر] فيه ظلمات مُتكَاثِفَةٌ ، وبُروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فَقَوِيَ الجوبها ، واشتد هبوبها حتى أثبت لها أعنة مُطْلَقَات ، وارتفعت لها صفقات ، فرجفت لها الجدران واصطفقت ، وتلاقت على بُعْدِهَا واعتنقت ، وثار السماء عَجَاجاً حتى قيل : " إن هذه على هذه قد انطبقت " ، ولا يُحسب إلا أن جهنم قد سال منها وادٍ ، وعدا منها عادٍ ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سُرج

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٠٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، ص (٤٥٥) .

النجوم ، ومزقت أديم السماء ، ومَحَت ما فوقه من الرقوم ، فكنا كما قال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ ^(١) ! ، ويردون أيديهم على أعينهم من البوارق لا عاصم لخطف الأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار ، وفرَّ الناس نساءً ورجالاً وأطفالاً ، ونفروا من دُورهم خِفَافاً وثِقَالاً .. لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا [لله] بأعناق خاضعة ، ووجوه عانية ، ونفوس عن الأهل والولد سالية ، ينظرون من طَرْفٍ خَفِي ، ويتوقعون أيَّ خَطْبٍ جلي ، قد انقطعت من الحياة عِلْقُهُمْ ، وَعَمِيَتْ عن النجاة طُرُقُهُمْ ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون وقاموا إلى صلاتهم ، وودّوا لو كانوا من الذين عليها دائمون) انتهى .

قلت : قارن بين كلام السلف عن الآيات ، وما يفعله الناس حين حدوثها من التوبة والرجوع إلى الله ، وبين ما نحن فيه من عدم ذكر الله بالكلية حين حدوث الآيات والحوادث ، وكلّ ما يحصل مِنّا هو ذكر الأسباب وآثارها ! .

ثم قال القاضي الفاضل : (إلى أن أذن بالركود ، وأُسْعِفَ الهاجدون بالهجد ، فأصبح كل مسلم على رفيقه يُهنّيه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد

بُعْثَ بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد ردَّ له الكَرَّةَ ، وأحياه بعد أن كاد يأخذه على غِرَّةٍ ! .

ووردت الأخبار ، بأنها كَسَرَتِ المراكبَ في البحار ، والأشجارَ في القِفَارِ ، وأتلفت خَلْقًا كثيرًا من السُّفَارِ ، ومنهم مَنْ فرَّ فلا ينفعه الفرار) .
إلى أن قال : (ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم مُحَرِّقًا ، والعلم مُحَوِّقًا ، فالأمر أعظم ، ولكن الله سَلَّمَ .

ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعَظَّنَا ، ونبهنا بما فيه ولهنا ، فما من عباده مَنْ رأى القيامة عيانًا ، ولم يلمس عليها من بعد ذلك برهانًا ، إلا أهل بلدنا ، فَمَا قَصَّ الأولون مثلها في المثَلات ، ولا سَبَقَتْ لها سابقة في المعضلات ! .

والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نخبر عنها ولا يُخبر عنا ، ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والشبور) انتهى ^(١) .

قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

مُسْتَنْفَرَةٌ ﴿٥٦﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٧﴾ (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بِحُمُرٍ رأت الأسد أو الرماة ففرت منه ، وهذا من بدیع القياس والتمثيل ، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كَالْحُمُرِ وهي لا تعقل شيئاً ، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نَفَرَتْ منه أشد النفور ، وهذا غاية الذم لهؤلاء ، فإنهم نَفَرُوا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها) انتهى (٢) .

• من أحداث سنة (٥٩٦ هـ) :

قال السيوطي : (وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة توقف النيل بمصر ، بحيث كَسَرَهَا ، ولم يُكْمَلْ ثلاثة عشر ذراعاً ، وكان الغلاء المفرط بحيث أكلوا الحَيْفَ والآدميين .

وَفَشَا أَكْلُ بَنِي آدَمَ واشتهر وَرُوي من ذلك العجب العجائب ، وَتَعَدَّوْا إلى حفر القبور وأكل الموتى ، وتمزَّق أهل مصر كل ممزق ، وكثُر الموت من الجوع بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت أو مَنْ هو في السياق ، وهلك أهل القرى قاطبة بحيث إن المسافر يمر بالقرية

(١) سورة المدثر ، الآيات من ٤٩ - ٥١ .

(٢) إعلام الموقعين ، ١ / ١٦٤ .

فلا يرى فيها نافخ نار ، ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى .

وقد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلدُ من سماعها ، قال :
" وصارت الطرق مُزَرَّعة بالموتى وصارت لحومها للطير والسباع ، وبيعت
الأحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة ، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ثمان
وتسعين وخمسمائة " (١) .

• من أحداث سنة (٥٩٧ هـ) :

١ - قال الذهبي في أحداث سنة سبع وتسعين وخمسمائة : (وفي
شعبان كانت الزلزلة العظمى التي عمت أكثر الدنيا) (٢) .

(وقال صاحب المرأة وغيره : كانت زلزلة عظيمة من الصعيد ،
هدمت بنيان مصر ، فمات تحت الهدم خلق كثير ، ثم امتدت إلى الشام
والسواحل والجزيرة وبلاد الروم والعراق وتهدم بالشام دور كثيرة ،
وخسفت قرية من أرض بصرى .

وأما السواحل ؛ فهلك بها شيء كثير ، وخربت محال كثيرة من
طرابلس وصور وعكا ونابلس ، ولم يبق من نابلس سوى حارة السامرة ،

(١) تاريخ الخلفاء ، ص (٤٥٥) .

(٢) العبر في خبر من غير ، ٤ / ٢٩٦ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ومات بها ثلاثون ألفاً تحت الهدم ، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون ، وسقط غالب قلعة بعلبك ، وخرج قوم من بعلبك يجنون الرياس من جبل لبنان ، فالتقى عليهم الجبلان ، وما توا بأسرهم ، وقطعت البحر إلى قبرص وانفرد البحر فصار أطوذاً ، وقذف بالمراكب إلى ساحله ، وامتدت إلى ناحية الشرق : خلاط ، وأرمينية ، وأذربيجان ، والجزيرة ، وأحصي من هلك في هذه الزلزلة على وجه التقريب ، فكان ألف ألف إنسان .

[خطبة بليغة حول الزلازل وأسبابها الشرعية] :

وقال بعض البلغاء في ذلك :

أما بعد ؛ فإنه لمّا حدث بِمُلْكِ الشام من الزلازل ، ووجد في أكثرها من عظيم البلايا والبلابل ، حتى طَعَتْ من أرض الجزيرة إلى بلاد الساحل ، وهدمت الحصون والمعازل ، وأخرَبَتْ مالا يُحصى من الدور والمنازل ، وسوّتِ العالي من البنيان بالأسافل ، وأوحشت من أهلها المجالسُ والمحافل ، وكثُرَتْ في الدنيا اليتامى والأرامل ، وأجهضت كثيراً من أجنّة الحوامل ؛ فكان ما حدث عِبرة للبيب العاقل ، وحسرة على المُصِرِّ الغافل ، وتنبههاً على إخلاص التوبة من المتغافل ، وإزعاجاً للمتباطيء عن الطاعة والمتثاقل ، وما ظَلَمَ الله عباده بإهلاك النسل والناسل ، ولكنهم تعاملوا عن الحق ، وتمادوا في الباطل ، وأضاعوا الصلوات ، وعكفوا على الشهوات

والشواغل ، وأهدروا دمَ المقتول ، وأرشوا في ترك القاتل ، وارتكبوا
 الفجور ، وشربوا الخمر ، وانتشر فسقهم في القبائل ، وأكلوا الربا والرِّشا
 وأموال اليتامى وهي شر المأكَل ، وزهدوا فيما رُغِبوا فيه ، وطمعوا في
 الحاصل ، ومَن بقي منهم إنما يُستدرج في أيام قلائل ، وما جرى على
 البلاد فَعِيرة وموعظة للخارج والداخل ، والله يَمُنّ على الإسلام وأهله
 بفرج عاجل ، ويوفقهم للقيام بمرضاته من أداء الفرائض والنوافل ،
 ويكفيهم من عذابه الأليم الهائل ، وينجيهم من عقابه الآجل والعاجل ،
 فهو مجيب المضطر ومعطي السائل ، وفارج الكرب الفادح والخطِّب
 النازل) انتهى ^(١) .

٢ - وقال السيوطي : (وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة - في سلخ
 المحرم [أي في آخره] - ماجت النجوم ، وتطايرت تطاير الجراد ، ودام
 ذلك إلى الفجر ، وانزعج الخلق ، وضجوا إلى الله تعالى) انتهى ^(٢) .

والملاحدة في زماننا ومقلدوهم من مرضى القلوب والعقول يقولون
 " هذا حصل لأجل النجم الفلاني ، أو المذئب الذي يُكمل دورته بعد كذا
 من السنين " .. وعلى تقدير صحة هذا الكلام فهو من جنس تعليلهم

(١) باختصار من : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي ، ص (١١١ - ١١٤) .

(٢) أنظر : تاريخ الخلفاء ، ص (٤٥٥) .

كسوف الشمس بأن القمر يصير بينها وبين الأرض فيحجب نورها ،
وتعليقهم خسوف القمر بأنه يحصل بسبب تغطية ظل الأرض له حيث تتفق
حيلولتها بينه وبين الشمس التي يستفيد نوره منها ، ومن جنس تعليليهم
الزلازل بأنها أبخرة محتجرة في باطن الأرض فتطلب لها مخرجاً فتحصل
الهزات الأرضية كما يسمونها ، ومن جنس الأوبئة التي تنتقل بواسطة
البهائم أو الحشرات أو غير ذلك ، ومن جنس تعليليهم حدوث الأعاصير
والفيضانات بأن هذا وقتها .

فالمراد هنا ليس إنكار الأسباب ، وإنما المراد تجريد التفات القلب إلى
المسبب الذي لا تتحرك ذرة في الكون إلا بتحريكه ولا تسكن إلا
بتسكينه ، وهذا من توحيد الربوبية .

كذلك فإن المراد - أيضاً - أن هذه آيات يُخَوِّف الله بها عباده
ليرجعوا إليه قبل لقائه بتوبتهم مما يغضبه ، وهذا من توحيد الإلهية .

فالأول : إثبات الأسباب باعتبارها آلات مُحَرِّكة بالتخويف .

والثاني : العمل بمقتضى ما جُعِلَتْ سبباً له ، وهو حصول التوبة
والإنابة والإقلاع عما يسخط الله .

فالأول : التوحيد العلمي ، وهو فعل الرب سبحانه .

والثاني : التوحيد العملي ، وهو فعل العبد .

• من أحداث سنة (٦١٧ هـ) :

في سنة سبع عشرة وستمائة خرج التتار إلى بلاد الإسلام فأحدثوا فيها من الدمار والقتل ما لا يُوصف حتى قال المؤرخ الشهير ابن الأثير الذي عاصر الحادثة [والمتوفى سنة ٦٣٠] وهو يصف عظمَ المصيبة التي حلت بالإسلام وأهله آنذاك ، قال : (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدمُ إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعيَ الإسلام والمسلمين ، ومن الذي يهونُ عليه ذكرَ ذلك ؟ ! ، فياليت أُمي لم تلدني ، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيّاً منسياً ! ، إلا أُنِي حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أن تركَ ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول : هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التي عَقَمَتِ الأيامُ والليالي عن مثلها ، عَمَّتِ الخلائق ، وخصت المسلمين ؛ فلو قال قائل : إن العالم مُذْ خَلَقَ الله سبحانه وتعالى آدَمَ إلى الآن لم يُبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها .

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل ، وتخریب البيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ! .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى مَنْ قتلوا ، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ، ولعل الخلق لا يروُن مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفتي الدنيا إلا يأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فإنه يقي على مَنْ اتبعه ، ويهلك مَنْ خالفه ، وهؤلاء لم يُبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقُّوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، فإننا لله وإننا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخاري وغيرهما ، فيملكونها ، ويفعلون بأهلها ما نذكره ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها إلى الري وهمدان وبلد الجبل ، وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة .. هذا ما لم يسمع بمثله ! ، ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربندشروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم .

ثم تابعوا الزحف إلى القلعة وبها نحو أربعمئة فارس من المسلمين ، فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوماً يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد فقتل بعضهم ، ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا إليهم ووصل النصابون إلى

سور القلعة فنقبوه ، واشتد حينئذ القتال ، ومَن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام ، فغضب اللعين ورد أصحابه ذلك اليوم ، وباكرهم من الغد ، فجدوا في القتال ، وقد تعب مَن بالقلعة ونصبوا وجاءهم مالا قبل لهم به ، فقهَرهم الكفار ، ودخلوا القلعة ، وقتلهم المسلمون الذين فيها حتى قُتلوا عن آخرهم .

ودخل الكفار البلد فنهبوه ، وقتلوا مَن وجدوا فيه ، وأحاط بالمسلمين فأمر أصحابه أن يقتسموهم ، فاقتسموهم وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان .

وتفرقوا أيدي سبا ، وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضاً ، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها ، كأن لَمَ تغنَ بالأمس ، وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون وييكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم ، فمنعهم مَن لم يرضَ بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل ؛ وممن فعل ذلك واختار أن يُقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الإمام ركن الدين إمام زاده وولده ، فإيهما لَمَّا رأيا ما يفعل بالحرَم قاتلا حتى قُتلا ، وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ، ومن استسلم أخذ أسيراً ، وألقوا النارَ في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وأما العامة [الذين في مدينة مرو حينما حاصرهم التتار] فإنهم قسموا الرجال والنساء والأطفال فكان يوماً مشهوداً من كثرة الصراخ والبكاء والعيول ، وأخذوا أرباب الأموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الأموال ، فرموا مات أحدهم من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه ، ثم إنهم أحرقوا البلد وأحرقوا تربة السلطان سنجر ، فبقوا كذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة وقال : هؤلاء عَصَوْا علينا ، فقتلوهم أجمعين ، وأمر بإحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل ، فإننا لله وإنا إليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٦٥٤ هـ) :

ذكر أهل العلم النار التي ظهرت في أرض الحجاز - التي ورد فيها الحديث المخرج في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببُصْرَى " ^(٢) - ؛ فقال الحافظ النووي : (وقد خرجت في زماننا نارٌ بالمدينة ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ،

(١) باختصار شديد من : الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ١٠ / ٣٩٩ - ٤٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٧٠١) ومسلم برقم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً .

تواتر العلم بها عند جميع الشام ، وسائر البلدان ، وأخبرني مَنْ حضرها من أهل المدينة (انتهى ^(١) .

وذكر القرطبي ظهور هذه النار العظيمة ، وقد أطل في وصفها ، حتى ذكر أنها رُئيت في مكة ومن جبال بُصْرَى في الشام ^(٢) .

وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - عِدَّةَ كُتُبٍ وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاناة ؛ وقد اخترت منها كتاباً واحداً أنقله هنا ، وفيه بيان أنه في وقت واحد غرقت بغداد واشتعلت أرض الحجاز بالنار التي أخبر بوقوعها رسول الله ﷺ .

قال ابن كثير : (ثم قال أبو شامة : ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : " وصل إلينا في جمادى الآخرة نَجَابَةٌ من العراق ، وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفح الماء من أعلى أسوار بغداد إليها وغرق كثير منها ، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد واهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً ، واهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس على الهلاك ، وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة وتُحترق أزقة بغداد .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢٨ / ١٨ .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص (٦٣٦) .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

قال الفاشاني يَصِفُ نارَ الحجاز : وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم .. لَمَّا كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد ، فانزعج لها الناس كلهم ، وانتبهوا من مراقدهم ، وَضَحَّ الناس بالاستغفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد ، وصلُّوا فيه ، وَتَمَّتْ ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة ، وَصُبْحَ يوم الجمعة ارتجت الأرض رجّة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض ، وَسُمِعَ لسقف المسجد صرير عظيم ، وأشفق الناس من ذنوبهم ، وَسَكَنَتِ الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحرّة وراء قريظة على طريق السوارقيّة بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض ، فارتاع لها الناس روعة عظيمة ، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت النار لها ألسُنٌ تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأثما القلعة ، وَعَظُمَتْ ، وفزع الناس إلى المسجد النبوي ، وأقروا بذنوبهم ، وابتهلوا إلى الله تعالى ، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ، ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت والصبيان ، واجتمعوا كلهم ، وأخلصوا إلى الله ، وَغَطَّتْ حُمْرَةُ النار السماء كلّها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر ، وبقيت السماء

كَالْعَلَقَةِ ، وأيقن الناسُ بالهلاك أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مُصَلٍّ ، وتالٍ للقرآن ، وراكع وساجد ، وداع إلى الله عز وجل ، ومُتَنَصِّلٍ من ذنوبه ومسنغفر وتائب) انتهى .

قلت : بالنظر في هذا يُعلم أن الخوف لا ينتفي لِعِلَّةِ العلم بوقوع المَخُوف حيث خاف الناس هذا الخوف العظيم وفزعوا إلى ربهم ، مع أن النبي ﷺ قد أخبر بظهور هذه النار ، فكذلك العلم بوقت الكسوف والخسوف لا يتنافى مع الخوف ، مع التنبيه للفارق بين ظهور النار وهو علم غيب محض لا يمكن العلم به إلا بالوحي وبين وقت حدوث الكسوف .. فهذا يُعلم بحساب سَيْرِ الشمس والقمر وليس هو من الغيب ، والمراد هنا أن عِلَّةَ عدم خوفنا ليس لمجرد علمنا بأوقات هذه الحوادث وأسبابها ، وإنما لاختلاف قلوبنا عن السلف الذين ينتفعون بآيات التخويف حيث تُسْفِر عن آثار طيبة من التوبة والإنابة .

ثم قال الفاشاني : (وَلَزِمَتْ النار مكانها ، وتناقص تضاعفها ذلك ، ولهبها ، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فَطَرَحَ المَكْسُ [وهو مثل ما يُسمى : الجمرك ، والضرائب] ، وأعتق مماليكه كلهم وعبيده ، وردّ علينا كل مالنا تحت يده وعلى غيرنا .

وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهاباً وهي كالجبل العظيم ارتفاعاً

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وكالمدينة عَرْضاً ، يخرج منها حصيٌّ يصعد في السماء ويهوي فيها ، ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد ، وبقيت كذلك أياماً ، ثم سالت سيلاناً إلى وادي أجلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج ، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنت ووقفت أياماً ، ثم عادت ترمي بحجارة خلفها وأمامها حتى بنت لها جبلين ، وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً ، ثم إنها عظمت ، وسناؤها إلى الآن ، وهي تتقد كأعظم ما يكون ، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال ، وإنما هذا طرف يكفي ، والشمس والقمر منكسفان إلى الآن ^(١) ، وكُتِبَ هذا الكتاب ولها شهر ، وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر (انتهى ^(٢)) .

وقد قال بعضهم أبياتاً ^(٣) :

لقد أحاطت بنا ياربُّ بأساءُ
حملاً ونحن بها حقاً أحقاءُ
وكيف يقوى على الزلزالِ شماءُ

يا كاشفَ الضرِّ صفحاً عن جرائمنا
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها
زلازلٌ تخشع الصُّمُّ الصَّلاب لها

(١) يريد ضعف ضوءهما .

(٢) البداية والنهاية ، ١٣ / ١٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ١٣ / ١٩١ .

أَقَامَ سَبْعًا يَرْجُ الْأَرْضَ فَانْصَدَعَتْ
 بَحْرٌ مِنَ النَّارِ تَجْرِي فَوْقَهُ سُفُنٌ
 كَأَنَّمَا فَوْقَهُ الْأَجْبَالُ طَافِيَةٌ
 تَرْمِي لَهَا شَرَرًا كَالْقَصْرِ طَائِشَةٌ
 تَنْشَقُّ مِنْهَا قُلُوبُ الصَّخْرِ إِنْ زَفَرَتْ
 مِنْهَا تَكَاثَفَ فِي الْجَوِّ الدِّخَانُ إِلَى
 قَدْ أَثَرَتْ سَفْعَةً فِي الْبَدْرِ لَفَحَتْهَا
 تُحَدِّثُ النَّيِّرَاتُ السَّبْعُ أَلْسِنَهَا
 وَقَدْ أَحَاطَ لَظَاهَا بِالْبُرُوجِ إِلَى
 فَيَا لَهَا آيَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ
 فَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْمَكْنُونِ إِنْ عَظُمَتْ
 فَاسْمَحْ وَهَبْ وَتَفَضَّلْ وَامْحُ وَاعْفُ وَجُذْ
 فَقَوْمٌ يُونِسَ لَمَّا آمَنُوا كُشِفَ الْـ
 فَارْحَمْ وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا خَطَبْتَ

عَنْ مَنْظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشَوَاءُ
 مِنَ الْهَضَابِ لَهَا فِي الْأَرْضِ إِرْسَاءُ
 مَوْجٌ عَلَيْهِ لَفَرَطُ الْبَهْجِ وَغَنَاءُ
 كَأَنَّمَا دِيمَةٌ تَنْصَبُ هَطْلَاءُ
 رُغْبًا وَتَرَعْدُ مِثْلَ السَّعْفِ أَضَوَاءُ
 أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهِيَ دَهْمَاءُ
 فَلَيْلَةٌ التَّمَّ بَعْدَ الثُّورِ لَيْلَاءُ
 بِمَا يُلَاقِي بِهَا تَحْتَ الثَّرَى الْمَاءُ
 أَنْ كَادَ يُلْحِقُهَا بِالْأَرْضِ إِهْوَاءُ
 لَ اللَّهِ يَغْلِيهَا الْقَوْمُ الْأَبَاءُ
 مِمَّا الذُّنُوبُ وَسَاءَ الْقَلْبُ أَسْوَاءُ
 وَاصْفَحْ فَكُلُّ لَفَرَطٍ الْجَهْلُ خَطَاءُ
 عَذَابُ عَنْهُمْ وَعَمَّ الْقَوْمُ نِعْمَاءُ
 عَلَى غُلَامٍ مِثْرِ الْأُورَاقِ وَرَقَاءُ

ولو أن هذه الآية كائنة في زماننا لَمَا زاد مقلدة الغرب الملحد من مرضى العقول والقلوب والنفوس على أن هذا بركان مشتعل ، وأن درجة حرارته كذا ، واتساع فوهته كذا ، وأن سبب ذلك مواد منصهرة في باطن الأرض ! .. إلى آخر الهذيان الصاد عن الإيمان ، بينما لا ذكر لله في ملكه وفعله ، فضلاً عن خوفه سبحانه والتوبة إليه ! .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ولا ريب أن مَنْ سَلَكَ هذا المسلك من أهل زماننا لَوْ عاصروا طوفانَ قومِ نوحٍ - عليه السلام - ، وريحَ عاد ، وقلبَ ديار قوم لوط - عليه السلام - ، وانفلاق البحر لموسى - عليه السلام - ، وغرق فرعون وقومه .. وغير ذلك من آيات العذاب التي أخذ الله بها أعداءه وأعداءَ رسله لقالوا عن ذلك كله مثل ما يقولونه اليوم في آيات رب العالمين ، وهو الفناء مع الأسباب الطبيعية وخذها ، وعزل مدبر الطبيعة وخالقها ومُسبب الأسباب ومقدرها سبحانه ! ، حتى وإن كان مَنْ حَلَّتْ بهم عقوباتِ الإله العظيم في وقتنا قد زادوا على ما أتته الأمم المعذبة قبلهم ! .

• من أحداث سنة (٦٥٦ هـ) :

إن ما آلت إليه أحوالنا يُخشى من عواقبه ، وإن سنن الله لا تتغير ، وقد جرت أمورٌ عظامٌ على مَنْ كان قبلنا مع عِظَمِ الفارق بيننا وبينهم ، فليس ما أتوه من المعاصي مقاربٍ لِمَا أُتِياه لا بالكثرة ولا بالكيفية وقد سُلِّطَ عليهم الأعداء كما جرى على أهل بغداد من التتار سنة ستمائة وست وخمسين .

قال ابن كثير : (في هذه السنة أخذتِ التتارُ بغداد ، وقتلوا أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بني العباس فيها ؛ وقد سُتِرَتْ بغداد ونُصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه

وتعالى شيئاً كما ورد في الأثر : " لن يغني حذر من قَدَر " وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ ^(٢) .

وأحاطت التتار بدار الخليفة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة حظاياه ، جاءها سهمٌ من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب : " إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقَدَره أذهب من ذَوِي العقول عقولهم ! " .

فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرت الستائر على دار الخلافة .

وكان قدوم " هلاكوخان " بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية

(١) سورة نوح ، من الآية : ٤ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

والشرقية ، ومألوا على البلد فقتلوا جميع مَن قدرُوا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان ، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وكذلك في المساجد والجوامع والرُّبُط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومَن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي .

وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وهذا الأمر لم يُؤرَّخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات ! .

وقد اختلف الناس في كمية من قُتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة فقيل : ثمانمائة ألف ، وقيل : ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، ولا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم ، وما زال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يوماً ، وقُتل الخليفة

المستعصم بالله أمير المؤمنين ، وقُتل معه ولده الأكبر أحمد ، ثم قُتل ولده الأوسط عبد الرحمن ، وأُسِرَ ولده الأصغر مبارك ، وأسرت بناته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم ، وأُسِرَ من دار الخلافة من الأبيكار ما يقارب ألف بكرٍ فيما قيل ، والله أعلم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما انقضى الأمر المقدّر ، وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم ، وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء ، والوباء ، والفناء ، والطعن والطاعون ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولمّا نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر كأنهم الموتى إذا بُشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضاً ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد ففانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الثرى ، بأمر الذي يعلم السر وأخفى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(١) (انتهى ^(٢) .

(١) سورة طه ، آية : ٨ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٠٠ - ٢٠٣ .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

• من أحداث سنة (٧١٨ هـ) :

وذكر ابن كثير أنه في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصلت الأخبار في المحرم من بلاد الجزيرة ^(١) ، وبلاد الشرق سنجار والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاءٍ عظيم ، وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التتار ، وعدم الأقوات ، وغلاء الأسعار ، وقلة النفقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوا من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيع الولد بخمسين درهماً وأقل من ذلك ، حتى إن كثيراً لا يشترون من أولاد المسلمين ، فكانت المرأة تصرخ بأنها نصرانية ليُشترى منها ولدها لتنتفع بثمنه ، ويحصل له من يطعمه ، فيعيش وتأمين عليه من الهلاك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنبو الأسماع عن وصفها .

وذكر أنه ترحل منهم قريب الأربعمائة ، وأنهم هلكوا في الطريق بسقوط الثلج عليهم ، وطائفة أخرى صحبوا التتار ، فلما انتهوا إلى عقبة صعدها التتار ، ثم منعوهم أن يصعدوها لئلا يتكلفوا بهم ، فماتوا عن آخرهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ^(٢) .

(١) ليست جزيرة العرب بل هي بلدة مجاورة للشام وتقع بين دجلة والفرات ؛ أنظر : معجم البلدان ٢ / ١٣٤ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٤ / ٨٦ .

ثم قال : (وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس ، فأهلكتهم كَثِيراً من الأمتعة ، وقتلت خلقاً منهم ، وكسرت الأمتعة والأثاث ، وقتلت جمالاً كثيرة وغيرها ، وكانت ترفع البعير في الهواء مقدار عشرة أرماع ثم تلقيه مقطعاً ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد ، وبرَدٌ عظيم بحيث أُلِفَ زرعاً كثيرة في قرى عديدة نحو من أربعة وعشرين قرية) انتهى ^(١) .

• من أحداث سنة (٧٢٥ هـ) :

وقال الياضي في أحداث سنة خمس وعشرين وسبعمائة : (في جمادى الأولى كان غرق بغداد المَهُول ، حتى بقيت كالسفينة ، وساوى الماء الأسوار ، وغرق أمم من الفلاحين ، وعَظُمَت الاستغاثة بالله ، ودام خمس ليال ، وعُمِلَت سكور فوق الأسوار ، ولولا ذلك - بعد الله - لغرق جميع البلد ، وليس الخبر كالعيان ، وقيل هُدمَ بالجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت) انتهى ^(٢) .

• من أحداث سنة (٧٤٩ هـ) :

١ - ذكر ابن كثير - أيضاً - أنه في سنة تسع وأربعين وسبعمائة

(١) المصدر السابق .

(٢) مرآة الجنان ، ٤ / ٢٧٢ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

تواترت الأخبار بوقوع البلاء في أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الإفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو ما يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفاً ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لَمَّا بَلَغَهُم من حلول هذا المرض في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق - حماها الله وسلّمها - ، مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء ، وكثر الموت في الناس بأمراض الطواعين ، وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجَمّ غفير ولاسيما من النساء فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإنابة ، وكثرت الأموات جداً وزادوا على المائتين في كل يوم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وتضاعف عدد الموتى ، وتعطلت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، ووقّف نائب السلطنة نعوشاً كثيرة في أرجاء البلد واتّسع الناس بذلك ولكن كثر الموتى ، وخرج الناس إلى الجامع يتضرعون إلى الله

ويسألونه في رفع الوباء عنهم ، فصام أكثر الناس ، ونام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان .

ولمّا أصبح الناس يوم الجمعة خرجوا من كل فج عميق واليهود والنصارى والسامرة والشيوخ والعجائز والصبيان والفقراء والأمرء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح ، فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جداً ، وكان يوماً مشهوداً ، وفي منتصف شهر جمادي الآخرة قَوِيَ الموت وتزايد ، وبالله المستعان .

وكان يُصَلَّى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل - رحمهم الله - آمين .

٢ - وحصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غباراً شديداً اصفرّ الجو منه ثم اسودّ حتى أظلمت الدنيا ، وبقي الناس نحواً من ربع ساعة يستجيرون الله ، ويستغفرون ، ويكون مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان (انتهى)^(١) .

التفكر والاعتبار
بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

والآن نذكر أحداثاً قريبة من وقتنا ، وأحداثاً في وقتنا أيضاً :

• من أحداث سنة (١١٨٧ هـ) :

وقال عثمان بن بشر في أحداث سنة سبع وثمانين ومائة وألف : (وفي هذه السنة وقع الطاعون العظيم في بغداد والبصرة ونواحيهما ، ولم يبقَ من أهل البصرة إلا القليل ، وذَكَرُوا أنه مات فيه منهم ثلاث مائة وخمسون ألفاً ، ومات من أهل الزبير نحو ستة آلاف) ^(١) .

• من أحداث سنة (١٢٠٤ هـ) :

قال ابن بشر في أحداث سنة أربع ومائتين وألف : (وفيها نزل على بلد حريملاء برد في الشتاء من خوارق العادات ، قتل ما وقع عليه من البهائم والطيور وغيرها ، وخسَفَ السطوح والأواني حتى النحاس ، وأهلك الأشجار وكسرها ، وأهلك جميع زروعهم ، وجأروا إلى الله ، فَرِحَهم ودَفَعَ عنهم) انتهى ^(٢) .

• من أحداث سنة (١٢٤٧ هـ) :

قال ابن بشر في أحداث سنة سبع وأربعين ومائتين وألف : (وفي هذه

(١) عنوان المجد في تأريخ نجد ، ١ / ١١٣ .

(٢) عنوان المجد ، ١ / ١٥٥ .

السنة وقع الطاعون العظيم الذي عَمَّ العراق والسود والمجرّة وسوق الشيوخ والبصرة والزيير والكويت وما حولها ، وليس هذا مثلَ الوباء الذي قبله المسمى " العقاص " ، بل هو الطاعون المعتاد - نعوذ بالله من غضبه وعقابه - .

وحل بهم الفناء العظيم الذي انقطع منه قبائل وحمائل ، وحلّت من أهلها منازل ، وإذا دخل في بيت لم يخرج منه وفيه عينٌ تطرّف ، وجثّى الناس في بيوتهم لا يجدون مَنْ يدفنهم ، وأمواهم عندهم ليس لها والي ، وأنتنت البلدان من جيفِ الإنسان ، وبقيت الدواب والأنعام سائبة في البلدان ليس عندها من يُعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها ، ومات بعض الأطفال عطشاً وجوعاً ، وخرّ أكثرهم في المساجد صريعاً لأن أهاليهم إذا أحسوا بالألم رمَوْهم في المساجد رجاءً أن يأتيهم مَنْ يُنقذهم فيموتون فيها لأنّها لا يُقام فيها جماعة .

وبقيت البلدان خالية لا يأتي إليها أحد ، وفيها من الأموال ما لا يُحصى عدّه إلا الله ، فما كان في النصف من ذي الحجة من السنة المذكورة ارتفع بإذن الله تعالى (انتهى ^(١)) .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

هذه الحوادث العظيمة نماذج مما جرى في ديار الإسلام قديماً وحديثاً ،
ونعوذ بالله أن نكون ممن قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ^(١) .

إنها آيات فيها اعتبار لمن يعتبر ، وازدجار لمن يزدجر ، والذي لم أنقله
هنا أكثر مما نقلته إذ المراد بيان ما آلت إليه أحوال العالم اليوم من الأمان
من حلول العقوبات العاجلة قبل يوم القيامة بسبب المعاصي ، وأن آيات
التخويف في وقتنا بدلاً من أن توقظنا من غفلتنا وتردنا إلى ربنا أصبحت
من أسباب زيادة المعاصي والذنوب حيث قُطِعَتْ عن الخالق وأوقِفَتْ مع
أسبابها الطبيعية كما تقدم بيان ذلك فصار هذا بلاء على بلاء ، وقد قال
تعالى : ﴿ أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٥﴾
أَوْ أَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٦﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ
اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٢) .

ثم إن المراد من ذكر ما تقدم من هذه الآيات والمصائب العظيمة أنها إذا
أصيب بها العباد في الزمن الماضي فإنهم يتوبون إلى ربهم ، فيكون في ذلك
منفعة لهم بالتذكير ، وهذا هو المقصود .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤ ؛ وسورة يس ، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الأعراف الآيات : ٩٦ - ٩٩ .

• من أحداث سنة (١٤٢٤ هـ) :

وفي فجر يوم الجمعة الموافق لليوم الثالث من شهر ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وأربعمائة وألف وقع زلزال مهول ومدمر في مدينة تابعة لـ (بَم) الإيرانية ، حتى خلف أكثر من ثمانين ألف قتيل ، وسوى قرى كاملة تابعة لهذه المدينة بالأرض حتى أصبحت قاعاً صفصفاً بإذن الله القوي العزيز .

• من أحداث سنة (١٤٢٥ هـ) :

في وقت كانت تمتلئ فيه شواطئ جنوب شرق آسيا بما لا يحصيه من الكفار والفجار والفساق ، والزواني والزناة ، وأصوات المعازف ومناتن الخمر والمخدرات تملأ تلك الأماكن .. شاء الله - الذي يغار أن تنتهك محارمه - أن يكتسح البحر هؤلاء - الذين كفروا برهم وعصوه - بأموج كالجبال عذاباً لهم وعبرة لغيرهم ، وقد كان يوماً مشهوداً من كثرة الصراخ والرعب الشديد الذي أصاب هؤلاء الأقوام من شدة بأس الله حتى لقد قال بعض من رآهم وهم يركضون هرباً من الأمواج الهائجة : لقد ذكرت قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

حَصِيداً خَامِدِينَ ﴿١﴾ ! (١) ، وقد صار ما أصابهم من بأس الله أمراً مهولاً هزت له أصفّاع الدنيا .

ففي يوم الأحد الرابع عشر من شهر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة وألف وقع زلزالٌ هائلٌ ضرب قاع المحيط فَفَتَحَ عنه طوفانٌ عظيمٌ في جنوب شرق آسيا حيث تعاظمت الأمواج الصادرة من قاع البحر ، وتحوّلت هذه الأمواج في دقائق معدودة إلى طوفان بحري عظيم أسموه بـ (تسونامي) - أي موجة الميناء - ، وقد أخذ يتجه نحو الشاطئ الممتليء بأولئك الكفرة والفجرة بسرعة ٥٠٠ كلم في الساعة ، ووصل طول موجته إلى أكثر من ٤٠ متراً ، أتت بإذن الله القوي العزيز على مُدُنٍ وقرى بأكملها مخلّفة مشاهدَ خرابٍ لا سابق لها ، حيث دُمّرت بقوة الله سواحلُ بما فيها ، وسُوّيت قرى كاملة بالأرض حتى أصبحت خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مَشِيد ، ولم يبقَ سوى حطام المنازل وأطلال المدن بعد أن خلّف هذا الطوفان العظيم بإذن ربه أكثر من مائتي ألف قتيل ومئات الآلاف من المفقودين وملايين المشردين .

وبعد أن رجع البحر لحالته الطبيعية أسفرت شواطئه التي غمرها بأمواجه الهائجة عن حالة يكفي بعضها ليأخذ منها المسلم العبرة والعظة

ليعود إلى ربه عودة صادقة حيث تحولت تلك الشواطئ إلى خراب بلاقع بعد أن كانت جنات زاهية ، وأصبح الذين كانوا بالأمس يملئونها بالعري والفساد كأهم بين الدمار الذي خلفه الطوفان أعجاز نخل خاوية حيث رؤيت جثثهم تملأ المكان وليس عليها ما يسترها ! ، فلا إله إلا الله القوي العزيز الذي أحال تلك الأماكن ما بين عشية وضحاها من جنات وكنوز ومقام كريم إلى أماكن يملؤها الدمار والخراب .. قال تعالى :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١) ، فهل من معتبر ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ؟! ^(٢) .

وبما أن الحق ما شهدت به الأعداء - كما يقال - فقد قرأت لبعض الخبراء الأمريكيين بأن قوة الزلازل الذي تسبب بهذا الطوفان العظيم يمكن تقديرها بالقوة التفجيرية لقراية مليون قنبلة ذرية ! ، فلا إله إلا الله القوي العزيز الذي تشهد كل ذرة في الكون على وجوده وقيوميته ، وتشهد كل حادثة مدمرة يجريها في الكون كمثال ما ذكرنا على عظمة جبروته وأنه القوي العظيم الذي لا غالب ولا قاهر له .

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٢٤ .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

• من أحداث سنة (١٤٢٦ هـ) :

١ - في صبيحة يوم الاثنين ، الموافق للرابع والعشرين من شهر رجب من عامنا هذا - عامَ ستة وعشرين وأربعمائة وألف - ضرب إعصارٌ مدمر غير مسبوق جنوبَ شرقِ (أمريكا) ، حتى خَلَفَ آلاف القتلى ودماراً واسعاً في ثلاث ولاياتٍ أمريكية حتى جعل - بإذن الله - واحدةً منها خاويةً على عروشها وكأن لم تغنْ بالأمس ! .. قال تعالى : ﴿ فَتِلْكَ يُبَوِّثُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

ولقد شبَّهَ حاكمُ أحدِ الولاياتِ الأمريكية التي ضربها هذا الإعصار العظيم بأن ولايته هذه - الذي أصبح جميع مبانيها حطاماً بسبب الإعصار - كمدينة (هيروشيما) التي دمرتها أمريكا بقنبلة ذرية قبل ستين عاماً (الموافق لـ ٢٨ / ٨ / ١٣٦٣ هـ) حتى قُتِلَ من أهلها وجُرح أكثر من مائة وثلاثين ألفاً وتحولت مبانيها إلى حطام وركام .

وقد قرأت بعض ما أعلنه بعض الناس ممن كان يقيم بهذه الولاية - التي أغرقها الإعصار بأمر ربِّه بفيضانات عظيمة وأمطار لا سابق لها - بأنها قد عَقَدَت العَزْمَ بمحاربة الجبار - جل جلاله - بالقيام باحتفال كبير - يقومون به كلَّ عام ، وعلى مدى ثلاثٍ وثلاثين سَنَةً - ، ويضم اللوطية والزناة من

(١) سورة النمل ، الآية : ٥٢ .

مختلف أنحاء أمريكا والعالم ، ويبدأ هذا الحفل الخبيث - الذي يحضره أكثر من مائة ألف من أشباه الرجال ، والنساء من كل مكان - بالمعازف الصاخبة ، وإذا شربوا من الخمر حتى الثمالة والسُّكْر قاموا بفعل الفواحش من اللواط والزنا والسَّحاق - والعياذ بالله - ، ولقد حَلَمَ الله عليهم وأَمَلَى لهم أكثر من ثلاثين عاماً ، ولكنهم لَمَّا تَمَادَوْا في طغيانهم شاء جبارُ السموات والأرض - الذي لا تتبدل ولا تتغير سُنَنُهُ في إهلاك الظالمين - أن يغرقهم ويدمر مكانهم الذي هيئوه لهذا الاحتفال الماكن تدميراً ، وقبل ثلاثة أيام من إقامته أرسل الله على مدينتهم إعصاراً عظيماً قال رئيسهم (بوش) بأنه لم يسبق لأمريكا أن حلت بها كارثة (طبيعية) كهذه التي خلفها الإعصار بإذن الله حتى صارت تلك الولاية بأسرها ولاية خاوية على عروشها ! ؛ فسبحان القوي الجبار الذي يُملي للظالم حتى إذا أخذه لَمْ يُفْلِتْهُ ، وإذا أراد أخذه أَخَذَهُ أَخَذَهُ أَخَذَهُ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ، فهل من معتبر والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ^(١) !؟ .

وإن مما يبين عَظَمَ ما حل بالقوم ما أعلنه الأمريكان بأنه قد انتحر من شُرطة هذه الولاية - التي أغرقها الإعصار بأمر ربه بفيضانات مدمرة وأمطار عارمة - قرياً من خمسمائة شرطي ، وسبب انتحارهم هو أن نفوسهم لم تستطع تَحَمُّلُ ما شاهدته من الدمار العظيم الذي حل بمدينتهم هذه حتى

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

هلك من ذريهم وأولادهم وأموالهم وممتلكاتهم ما جعلهم يفضلون الموت على أن يبقوا أحياءً تنقطع نفوسهم حسرات على ما يشاهدونه من العذاب الذي حل بهم ، وقد صدق الله : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(١) .

ولقد خلّف ذلك الإعصار العظيم خسائر مادية ومالية هائلة قُدرت بأكثر من مائتي مليار دولار .

وما إن حاول القوم التعافي من بعض صدمة هذا الإعصار المدمر حتى حلّ بساحتهم إعصار آخر أسموه بـ (ريتا) في العشرين من شهر شعبان ، فزاد الطين بِلّة ، حتى استفحلت خسائرهم في الأرواح والممتلكات والأموال ، والحمد لله رب العالمين .

وما يزالون يستفتحون على أنفسهم بمزيد من النكال والعذاب حيث أعلنوا بأن ولاياتهم مقبلة على أنواع شتى من الكوارث ، من زلازل وأعاصير مدمرة ، وما يسمونه بانفلونزا الطيور ، وبراكين هائلة غير مسبوقة تغطي بِحِمَمِها سماء أمريكا وقد تنفجر في أي لحظة كما يقولون ؛ ونسأل الله الذي قال : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ ^(٢) .. أن يجازيهم في الدنيا بما

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة الأنفال ، من الآية : ١٩ .

استفتحوا به على أنفسهم بأن يدمرهم تدميراً ، وأن يجعلهم كأن لم يَغْنَوْا بالأمس .

٢ - وفي ضحى يوم السبت ، الموافق للخامس من شهر رمضان من عامنا هذا - عام (١٤٢٦ هـ) - ضربَ زلزالٌ عظيمٌ باكستان وكشمير ودولاً بجنوب آسيا ، ثم زُلزِلت في نفسِ هذا اليوم قرياً من خمسين مرة - كما ذكرت باكستان - ؛ وقد خلَّفت هذه الزلازل العظيمة في باكستان وكشمير قرياً من ثمانين ألفَ قتيل ، ومثلهم من الجرحى ، وملايين المشردين ، كما دَمَرَتْ قري كاملة حتى سوَّتها بالأرض ؛ نسأل الله السلامة والعافية .

وقد أُعلن أنه خلال خمسة عشر عاماً ماضية فقط شهد العالمُ أربعةً وعشرين زلزالاً مهولاً ومدمراً ، فضلاً عن الزلازل الصغرى التي أصبحت من كثرتها لا يحصيها إلا الله ! ، ولا عجب من كثرتها فقد أخبر النبي ﷺ بتكاثر الزلازل في آخر الزمان حيث قال : (لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل) ^(١) .

وقد وقعت آية الزلازل التي ضربت جنوب آسيا بعد كسوف الشمس كما وقعت آية إعصار أمريكا قبله مما يوضح ما تقدم من كلام شيخ الإسلام وتلميذه - رحمهما الله - من مقارنة الحوادث للكسوف في مواضع الكفر والمعاصي .

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٨٩) و (٦٧٠٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

ولقد كانت آثار هذه الزلازل التي يخوف الله بها عباده ليتوبوا الانشغال بالأسباب وآثارها حتى بلغ الهوس بمن ترووا من علوم الملاحظة أن يُشيروا ببناء مساكن تُقاوم الزلازل مع الاعتناء بالإندار المبكر .. ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، وليس للدواء الشافي والمُعْتَصَم الكافي ذكر الذي هو الرجوع إلى الله بالمتاب ليندفع عن العباد شر الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .

ومما يُبين عظم ما آلت إليه الحال أن (قريشاً) تُخلص لله في الشدة ، وتدعوه ، وتلجأ وتتضرع إليه ؛ بينما لا أثر اليوم لهذا لأن البلاء جاء من علوم الملاحظة التي شملت الأرض كلها ، ومدارها على التعطيل .

وهذه العقوبات والآيات الأربع الأخيرة قد حلت في وقتنا فيما يُقارب السنين فقط ، وقد سُمي بعضها بأسماء تُبَعِّدُهَا عن الفاعل سبحانه وتُغْثِي ذكره عز وجل ، فالطوفان العظيم الذي أغرق جنوب شرق آسيا أَسْمَوْهُ بـ (تسونامي) ، وثالثة الأتافي ذلك الأعاصير العظيمة التي أَسْمَوْهَا بـ (كاترينا) و (ريتا) وغيرها ^(٣) ، ولا كأن للكون رباً يغضب إذا كُفِرَ

(١) سورة الحشر ، من الآية : ٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .

(٣) وأهل وقتنا يُسمون الفواحش مثل الزنا وعمل قوم لوط بـ (الجنس) و (الشذوذ) ، ونحو ذلك مما يُحيل المعنى ويهون هذه الكبائر ، كذلك فإن هذه التسمية تلغي حدود الله المنوطة بمسمياتها كما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فالخذر من التلاعب بالمسميات الشرعية وتسميتها بغير ما سماه الله ورسوله ﷺ .

به أو انتهكت محارمه ، فغاية ما يحصل اليوم من أكثر الناس تجاه هذه الحوادث العظيمة هو الكلام في الأسباب وآثارها بينما الملكُ المالك سبحانه معزول عن ذلك حيث لا ذكر له ، ولا خوف منه ، ولا رجوع إليه ، لا ممن حلّ بساحتهم العذاب ، ولا ممن أريد منهم الاعتبار والحذر من عقوبات الملك الجبار ! .. فيا له من عالم ضالٍّ ومرذول ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ^(١) ، والمراد : القرى الظالمة ؛ ولا تسأل عن هذه المواضع التي أخذها الله بالهلاك والعذاب ، والأرض مملوءة مما يشاهدها ..

والليالي من الزمان حبالى مُثْقَلَاتٍ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيَّةٍ !

نسأل الله الرحيم أن يدفع عنا وعن المسلمين البلاء ، وأن يُلحق أعداءه بالقرون الأولى .



الفرق بين عقوبات الله على الكفار وعلى المسلمين

بعض الجهلة يُهَوِّنُون من شأن عقوبات الله لأعدائه الكفرة بما يحصل للمسلمين كما تقدم أمثله لذلك وكأنَّ الأمر مُشْتَرَكٌ دون فارق ، وهذا ضلال .

أما الكفار فيأخذهم الله بكفرهم ولهم عذاب الدنيا والآخرة ، ولذلك ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه أخذ الأمم الكافرة السابقة بالعذاب على تنوعه بسبب ذنوبهم والذي أعظمها الكفر ، حيث قال سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١) ، وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٦ .

شَدِيدُ الْعَقَابِ ﴿١﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (٢) .

وأما المسلمون فليس ما يعاقبهم الله به مماثلاً لما يعاقب به الكفار بل هو أهون ، كذلك فيه تكفير لسيئاتهم وتمحيص لهم ، كما أنه موعظة لهم وعبرة ، كذلك فإن فيه الرحمة والخير الكثير لما يحصل بسببه من توبتهم ورجوعهم إلى مولاهم الحق - سبحانه - بالانكسار والذل والخوف الذي يحجزهم عن التعرض لسنخط ربهم ؛ وقد تقدم من الأمثلة ما يوضح هذا - والله الحمد - .

ومما يُبَيِّن كَوْنُ ما يجري على المسلمين من العقوبات من الزلازل ونحوها يُعْتَبَر من تكفير السيئات هو ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ إِلَّا عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا : الْقَتْلُ ، وَالْبَلَاءُ ، وَالزَّلَازِلُ) (٣) .

ومما يوضح كون هذه الزلازل وغيرها من الكوارث عقاباً على الكافرين وموعظة للمؤمنين ورحمة بهم هو ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه -

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٢١ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٩٧٦٧) وأبو داود برقم (٤٢٧٨)

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

أنه قال : (دخلت على عائشة - رضي الله عنها - ورجل معي ، فقال الرجل : يا أم المؤمنين حدثينا حديثاً عن الزلزلة ، فأعرضت عنه بوجهها ، قال أنس فقلت لها : حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة ؛ فقالت : " يا أنس .. إن حدثتك عنها عشت حزيناً ، وبعثت حين تبعث وذلك الحزن في قلبك " ، فقلت : يا أماء حدثينا ، فقالت : " إن المرأة إذا خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب ، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً ، فإذا استحلوا الزنا وشربوا الخمر بعد هذا وضربوا المعازف غار الله في سمائه فقال للأرض : [تزلزلي بهم] ، فإن تابوا ونزَعُوا وإلا هدمها عليهم " ، فقال أنس : عقوبة لهم ؟! ، قالت : " رحمة وبركة وموعظة للمؤمنين ، ونكالاً وسُخطة وعذاباً للكافرين " ، قال أنس : فما سمعت بعد رسول الله ﷺ حديثاً أنا أشدّ به فرحاً مِنِّي بهذا الحديث ، بل أعيش فرحاً وأُبْعَث حين أُبْعَث وذلك الفرح في قلبي - أو قال - : في نفسي) انتهى (١) .

أما في زماننا هذا فلم يُعَدَّ في الآيات المتلوّة ولا المشهودة اعتبار ولا ازدجار ، بل إن الضلال يزيد إلا ما شاء الله ، وما الذي يؤمّننا من عذاب الله ، فليس لنا الحُلوة والكفار المرّة إذا سلكننا طريقهم - كما قال ذلك بعض الصحابة ، رضي الله عنهم - .

(١) أخرجه الحاكم في " مستدركه " برقم (٨٥٧٥) ، ونعيم بن حماد في " الفتن " برقم (١٧٢٩) ، وقال

الحاكم (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) .

قال ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة) في كلامه عن الجبال :
(فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رِقَّتْها وخشيتها وتدكدكها من
جلال ربها وعظمته ، وقد أخبر عنها فاطرها وباريها أنه لو أنزل عليها كلامه
لخشعت ولتصدّعت من خشية الله ؛ فيا عجباً من مُضغّة لحم أقسى من هذه
الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويُذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلتين ولا
تخشع ولا تنيب ! ، فليس بمستنكر على الله عز وجل ولا يخالف حكمته أن
يخلق لها ناراً تذيبها إذ لم تَلِنْ بكلامه وذكره وزواجره ومواعظه ، فمن لم يَلِنْ
لله في هذه الدار قلبه ، ولم يُنِبْ إليه ولم يُذِبْه بحبه والبكاء من خشيته ..
فليستمتع قليلاً ، فإن أَمامه المُلَيَّن الأعظم [يعني النار - نعوذ بالله منها -] ،
وسُيِّرَدَ إلى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم (انتهى)^(١) .



**أسباب عدم حدوث العقوبات الكونية العامة
على الناس اليوم مع كثرة معاصيهم مع
حصولها على أسلافهم مع قلة ذنوبهم**

إن من أعظم أسباب تأخير العقوبات الدنيوية هو الإملاء والاستدراج ، وقد بين سبحانه وبحمده الحكمة من إمهاله الكثير من الكفار والعصاة وعدم أخذه لهم بالعقاب العاجل والعذاب الدنيوي فقال سبحانه : ﴿ وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَّامًا تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى عنهم : ﴿ أَيْخُسِبُونَ أَلَّامًا تُمْلِي لَهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه وهو يتوعدهم بالعذاب الآجل : ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ^(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٨٧ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) سورة الحجر ، آية : ٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيات : ١٨٢ - ١٨٣ .

الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١﴾ .

قال ابن كثير على قوله سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ : (ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ، ويعتقدوا أنهم على شيء) انتهى (٢) .

وأخير تبارك وتعالى عباده مبيناً لهم أنه لم ولن يغفل عن الكافرين والظالمين المفسدين الذين لم يُصبهم العذاب الدنيوي .. فقال سبحانه وبحمده : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ؛ ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

(١) سورة القلم ، الآيات : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢ / ٢٧١ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٤٢ .

التفكير والاعتبار

بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ (انتهى)^(٢) .

وإن الذي يتفكر في هذا الانفتاح من الدنيا والإقبال عليها ، والغفلة والذهول عن الآخرة إلا على مقتضى ما قال الحسن البصري - رحمه الله - : (كلما حَسُنَتْ منا الأقوال ساءت منا الأفعال) ، وذلك منذ حوالي سبعين سنة ؛ فقد حصل انفتاح من الدنيا باهر ، وإقبال عليها لم يسبق له مثيل لا في كثرته ولا في صفته ولا في كيفيته ، مع إعراض عن الآخرة ، ومبارزة الله بمساخطه ؛ ثم يتفكر بأنه ومنذ ذلك الوقت لم يأتنا ما أتى من قبلنا مما تقدم ذكر أمثله له ، وأن أولئك خير منا بأكثر من الكثير ولا ريب في ذلك مع سلامتنا مما عاقبهم الله به في الدنيا ! .

وهذا لا تُمكنُ الإجابة عليه ومعرفة سرِّه من أشباه الأنعام من المنافقين والفسقة الفجرة لأن هؤلاء كما وصفهم السلف بـ " البعير ، عَقَلَهُ أهله .. فلا يدري لِمَ عَقَلُوهُ ! ، وأطلقوه ولا يدري لِمَ أطلقوه ! " .

إن الله سُنَّ لا تبديل لها ، وهي عادته سبحانه ، ومن عادته تعجيل العقوبة للمسلمين إذا تعرضوا لمساخطه تمحيصاً وتكفيراً لسيئاتهم ، ولا يتعارض هذا مع غضبه ، كذلك فإن في طيِّ ذلك الرحمة بعباده حيث

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٣٤٩) والطبراني في الكبير برقم (٩١٣) والأوسط برقم (٩٢٧٢) .

يرجعون إليه بعد إيقاظهم من الغفلة بالعقوبة .

ولمَّا كانت أحوال مَنْ مضى من هذه الأمة قرية بيّنة ، وفطرهم
سليمة حصل لهم ما حصل .

أما نحن فإننا نختلف عنهم بأمرين :

الأول : لا مقارنة بين ما حصل في زماننا وما كان يحصل في
أزمانهم ، حيث كان ما يحصل في السابق من المعاصي شيء قليل بالنسبة
لما يحصل اليوم ، وكان ما يجري من العقوبات مناسباً لتلك الأحوال ؛
أما اليوم فقد ولّجت على الأمة ظلمات هائلة لا كاشف لها إلا الوليّ
الحميد ؛ وهذا موجبٌ سخطٍ عظيمٍ وعقوبات تناسب الحال ، نسأل الله
لطفه ودفع البلاء عنا وعن المسلمين .

الثاني : أنه بما أن الحكمة من تعجيل العقوبة رجوع العباد إلى ربهم
بإقلاعهم عن مساخطه ، وهذا - والله أعلم - في زماننا لا أثر له ، وقد
تبين معنى عزل الناس اليوم الملك سبحانه عن ملكه وعن تصرفه فيه في وقتنا
حيث لا ذكر له سبحانه أثناء حصول الآيات والكوارث ، بل ينسبونها
للطبيعة ^(١) ! .

(١) وإنما جاء هذا العزل كثرة ونتيجة لعزل الشريعة عن أهل الأرض ! .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

فاتفق ضَعْفُ الشعور بالفاعل - سبحانه - أو عَدَمُهُ ، فتلاشى الخوفُ وبقِيَ الإصرار على مساخطه ، بل والزيادة ؛ فصار لا أثر للحكمة في تعجيل العقوبة الذي هو رجوع العباد إلى ربهم بإقلاعهم عن مساخطه .

ومع كون تأخر العقوبات يأتي استدراجاً وإملاءً ، فإن تأخرها - أيضاً - يكون بسبب أمور أخرى ، وهي :

الأول : وهو المخيف حقاً ! ، فإن عقوبة الذنب الذنب بعده - كما قال السلف - .

وقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال :
(إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه ، وهو الرآن الذي ذكر الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١)) ^(٢) .

قال الحسن البصري - رحمه الله - في هذه الآية : (الذنب على الذنب حتى يعمى القلبُ فيموت) ، قال ابن كثير : " وكذا قال مجاهد بن جبر ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم " ^(٣) ، وقد جاء عن الحسين المزني أنه

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٤ .

(٢) رواد الترمذي برقم (٣٣٣٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٤٨٥ .

قال : (الذنبُ بعد الذنبِ عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة) ^(١) ؛ فلو قال قائل : " إن العقوبات جارية في وقتنا على هذه السنن " لكان كلامه صحيحاً .

فهذا أشدُّ العقوبات ، وليس مَنْ يعلم كَمَنْ لا يعلم ، فذنوبنا جاءت على علمٍ مِنَّا بدين ربنا .

عن طارق بن شهاب ، عن حذيفة - رضي الله عنه - ، قال : قيل له : في يوم واحدٍ تركت بنو إسرائيل دينهم ١٩ ، قال : (لا ، ولكن كانوا إذا أُمروا بشيء تركوه ، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه) ^(٢) .

ولقد تبعنا آثارهم كما أخبر بذلك نبينا ﷺ بقوله : (شيراً بشير وذراعاً بذراع) ^(٣) .

الثاني : وهو أن الأمر قد قُرب ، ومَنْ لم يستدل بما حصل لنا منذ سبعين سنة على قُرب الأمر بنهاية الدنيا ، وأن ما غَشانا ما هو إلا مقدمات للدجال وعظيم الأهوال .. فليس من دينه على بصيرة ! .

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٢٢١) ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢ / ٢٦٦ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ١ / ٢٧٨ - ٢٧٩ ، والبيهقي بلفظ آخر في الشعب برقم (٧٢١٢) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٩) ومسلم برقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وبما أن الأمر حقيقةً قد قَرُب فالذي أماننا كل عظيمٍ قبله جلّ ! ،
وأذكر أن عَمَّتِي - وهي امرأةٌ سالحةٌ رحمها الله - أخبرتني أنها رأت في
المنام كأنه نَزَلَ مَلَكٌ من السماء رَأَتْهُمَا بِجَانِبِ فَرْعِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الدَّارِ ،
وَرَأَتْهُمَا مُتَمَسِكَانِ بِصَحِيفَةٍ بَيْنَهُمَا ، فَقَلَّبَهَا أَحَدُهُمَا وَهُوَ يَقُولُ لِلْآخَرِ :
خَسَفْتُ أَوْ قَلْبُ ؟ ! ، فَأَجَابَهُ : لَا خَسَفَ وَلَا قَلْبُ ، إِنْ السَّاعَةُ قَرِيبٌ)
انتهت الرؤيا ^(١) .

وقد رَأَتْهُمَا مِنْذُ حَوَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَالْيَوْمَ قَدْ زَادَ الْأَمْرُ شِدَّةً ! ،
ومعناها أن أَمْرَنَا فَظِيعٌ - نَسْأَلُ اللَّهَ الرَّحْمَةَ - ، كَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مِنْهَا أَنَّ قُرْبَ
الْقِيَامَةِ هُوَ مِنْ أَسْرَارِ تَأْخِيرِ الْعُقُوبَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ مَنْ لَا يَزَالُونَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيُصِرُّونَ عَلَى
ارْتِكَابِ الْكُفْرِ أَوْ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يُدْرِكْهُمْ عَذَابُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِمِثْلِ هَذِهِ
الْكَوَارِثِ أَنَّهُمْ قَدْ أَفْلَتُوا مِنَ الْعِقَابِ .. ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ
أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ ^(٢) .

(١) وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) رواه البخاري
برقم (٦٥٨٦) ومسلم برقم (٢٢٦٤) عن عبادة بن الصامت ، وقال رسول الله ﷺ : (إذا اقترَبَ الزَّمانُ لَمْ
تَكُدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبِوءَةِ ، وَمَا كَانَ مِنَ النَّبِوءَةِ فَإِنَّهُ
لَا يَكْذِبُ) رواه البخاري برقم (٦٦١٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) سورة القمر ، الآية : ٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ^(١) ، والأجل المسمى هو يوم القيامة .

وها نحن نشاهد كل يوم كيف يساق الناس إلى المقابر رجالاً ونساءً ، وشيئاً وشباناً .. فهل من معتبر !؟ .

وقد أحسن مَنْ قال ^(٢) :

هو الموت ما منه مَلاذٌ ومَهْرَبٌ	مَتَى حُطَّ ذَا عَنْ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ
نشاهدُ ذَا عَيْنِ الْيَقِينِ حَقِيقَةً	عَلَيْهِ مَضَى طِفْلٌ وَكَهْلٌ وَأَشِيبُ
ولكنْ عَلَا الرَّأْنُ الْقُلُوبَ كَأَنَّا	بِمَا قَدْ عَلِمْنَاهُ يَقِيناً نَكْذِبُ
نُؤَمِّلُ آمَالاً وَنَرْجُو نَتَاجِهَا	وَعَلَّ الرَّدَى مِمَّا تُرْجِيهِ أَقْرَبُ
ونبني القصورَ المِشْمَخَرَاتِ فِي الْهَوَى	وَفِي عِلْمِنَا أَلَّا نَمُوتُ وَتَخْرَبُ
ونسعى لجمعِ المالِ حِلاً وَمَأْتِماً	وبالرغمِ يَخْوِيهِ الْبَعِيدُ وَأَقْرَبُ
نُحَاسِبُ عَنْهُ دَاخِلاً ثُمَّ خَارِجاً	وَفِيمَ صَرْفَانِهِ وَمِنْ أَيْنَ يُكْسَبُ
وأول ما يبدو ندامَةً مُسْرِفٍ	إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ الْكَرْبُ وَالرُّوحُ تُجْذَبُ
إِذَا قِيلَ أَنتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَمَا الَّذِي	عَمِلْتُمْ وَكُلٌّ فِي الْكِتَابِ مُرْتَبُ
فِيالَيْتَ شِعْرِي مَا نَقُولُ وَمَا الَّذِي	نُجِيبُ بِهِ وَالْأَمْرُ إِذْ ذَاكَ أَضْعَبُ

(١) سورة النحل ، الآية : ٦١ .

(٢) هذه القصيدة لمحمد بن عبد الله العنيمين نقلاً عن ملحق شعري له في (ديوان ابن مشرف ، ص ١٨٧) .

التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا
وما الحال إلا مثل ما قال من مضى
لكل اجتماع من خيلين فرقة
ومن بعد ذا نشر وحشر وموقف
إذا فر كل من أبيه وأمه
وكم ظالم يدمى من العض كفه
وكم قائل : واحسرتا ليت أننا
فها نحن في دار المني غير أننا
فحثوا مطايا الارتحال وشمروا
فما أقرب الآتي وأبعد ما مضى

وفي كل يوم واعظ الموت يتدب
وبالجملة الأمثال للناس تُضرب :
ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب
ويوم به يكسى المذلة مذنب
كذا الأم لم تنظر إليه ولا الأب
مقالته : ياويلتي أين أذهب !
نُرد إلى الدنيا نيب ونرهب
شغفنا بدنياً تضحل وتذهب
إلى الله والدار التي ليس تحرب
وهذا غرابُ البين في الدار ينعب



الرد على شبهة :
(لو كانت الزلازل والأعاصير وغيرها عذاباً لما حدثت في مواضع خالية من الناس)

كذلك فبعض الناس يورد شبهة أخرى ، وهي أنه لو كانت الزلازل والأعاصير ونحوها عذاباً يعذب الله بها من عباده من كفر به وعصاه لما حدثت في مواضع خالية من البشر المكلف من البراري والبحار .

وإنما جاءت هذه الشبهة من ظن أن هذه الحوادث مختصة بالعذاب وليس الأمر كذلك ، وإنما العذاب جزء من الحكمة التي أوجدها الله من أجلها .

يوضح ذلك أن الأرض كلها من اليابس والماء جسم واحد أودعه الله من المواد المائعة والصلبة وما بين ذلك ، كذلك المواد الحارة الشديدة الحرارة ، والباردة الشديدة البرودة ، وما بين ذلك ، ولا يكون قوام الجسم إلا بهذا التركيب كجسم الإنسان وما فيه من الحرارة والبرودة والصلابة والليونة ، وما يُفرزه بدنه من الفضلات الضارة .

فالأرض يعتورُ باطنها وظاهرها تغيرات من حرارة وبرودة ومن ليونة

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

وصلاية وبالعكس ، فيحدث فيها ما يستدعي التوازن والاعتدال ، فتزلزل بإذن الله - كما تقدم بيان بعض أسباب الزلازل - .

وأقدارُ الربِّ الحكيم سبحانه سابقة في كتابه مقارنة لعلمه ، فيكون في علمه السابق أن هذا الموضع من الأرض سوف يسكنه من الخلق مَنْ يستحقون العذاب فيُحدث الله لهم من آياته من الزلازل ونحوها ما يكون عذاباً لهم وعقوبة ، وهو أيضاً نفس للأرض لِمَا يَحْدُثُ في باطنها .

والرب المدبِّر في ملكه سبحانه واحد ، فيتفق الوقت الذي يريد سبحانه تعذيب بعض عباده مع الوقت الذي تتنفس فيه الأرض هذا النفس ، وهو المقدَّر لذلك كله .

كما أنه سبحانه يقدِّر للأرض أن تتنفس في المواضع الخالية من البشر .

وهكذا البراكين والأعاصير وغير ذلك على هذا التأصيل ، ومن هنا تتضح الحكمة في كون هذه الآيات تحدث أحياناً في مواضع خالية مثل البراري والقفار وقعر البحار ؛ والله تعالى أعلم .



خاتمة الكتاب

وليكن ختم هذه الرسالة بموعظة بليغة لم تدوّن في التاريخ لأجل أهلها فقط ، وإنما لنا بعدهم ، فإن سنة الله لا تبدّل ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين ، فإن أمرنا قد تعدى حدوده ، ونعوذ بالله من حلول سخطه ، فإنه في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة من الهجرة وقع مُوتان عظيم ببلاد الهند ، وغزنة ، وخراسان ، وجرجان ، والرّي ، وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة .

وقد رأى رجل من أهل أصبهان في منامه منادياً ينادي بصوت جهوري :

" يا أهل أصبهان .. سَكَتْ ، نَطَقْ ، سَكَتْ ، نَطَقْ " .

فانتبه الرجل مذعوراً فلم يدرِ أحد تأويلها ما هو حتى قال رجلٌ بيتَ أبي العتاهية ، فقال : احذروا يا أهل أصبهان فإني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سَكَتَ الدهرُ زماناً عنهمو ثم أبكاهمُ دَماً حين نَطَقَ !

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقاً

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

كثيراً ، حتى قتل الناس في الجوامع ^(١) .

فتأمل الآن سكوت الزمان ونطقه ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ^(٢) ، فما الذي يُؤمّننا إذا كانت هذه عادة الله أن يفتح على من عصاه أبواب كل شيء من رفاهية الدنيا ونعيمها استدراجاً ؟! ، وقد فُتح علينا بمدة لم يمض عليها ستين سنة من أبواب كل شيء ما لم يُعهد له نظير من حين أهبط الله آدم - عليه السلام - إلى الأرض ، والمعاصي والضلالات مقارنة لهذا الفتح ملازمة له تزيد بكثرته ، ويستعصي التخلص منها بوفرته وصِفته ، فالحذر الحذر ! .

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : (كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا ولد له ، وكان يخرج ، فإذا رأى غلاماً من غلمان بني إسرائيل عليه حلي يخذعه حتى يدخل بيته فيقتله ويلقيه في مطمورة له ، فبينما هو كذلك إذ لقي غلامين أخوين عليهما حليّ فأدخلهما بيته ، وقتلهما وطرحهما في مطمورته ، وكانت له امرأة مسلمة تنهأ عن ذلك وتقول له : " إني أحذرك عن النعمة من الله عزّ وجل " ، فيقول :

(١) أنظر : البداية والنهاية ١٢ / ٣٤ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري ٤ / ٢٧٦ ، والأنساب للسمعاني ١ / ٢٥٩ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٤٤ .

" لو أن الله يأخذني على شيء لأخذني يوم فعلت كذا وكذا " ، فتقول له المرأة : " إن صاعك لم يمتلئ ، ولو امتلأ صاعك لأخذت " ، فلما قتل الغلامين خرج أبوهما في طلبهما فلم يجد أحداً يخبره عنهما ، فأتى نبياً من أنبياء بني إسرائيل وذكر ذلك له ، فقال له ذلك النبي : " هل كان معهما لعبة يلعبان بها ؟ " ، فقال أبوهما : " نَعَمْ ، كان لهما جرّو " ، قال : " فأتني به " ، فأتاه به ، فوضع النبي خاتمه بين عينيه ، ثم خلى سبيله ، ثم قال : " أول دار يدخلها من دور بني إسرائيل فيها بيان ذلك " ، فأقبل الجرو يتخلل الدُّور حتى دخل داراً من دور بني إسرائيل ، فدخلوا خلفه ، فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة قد قتلهم وطرحهم في المطمورة ، فانطلقوا به إلى ذلك النبي - عليه السلام - ، فأمر به أن يصلب ، فلما رُفِع إلى الخشبة أته امرأته وقالت : " قد كنت أحذرك هذا اليوم ، وأخبرك أن الله غير تاركك وأنت تقول : لو أن الله يأخذني على شيء لأخذني يوم فعلت كذا وكذا ، فأخبرك أن صاعك لم يمتلئ بعد ، ألا وإن صاعك قد امتلأ ! " (أخرجه البيهقي ^(١) .

وفي هذه القصة اعتبار في أخذ الله من يأخذ بالعقاب ، وإمهاله من يُمهّل .

(١) في شعب الإيمان برقم (٧٢٩٤) .

أَلَا يَخَافُ أَحَدُنَا أَنْ صَاعَهُ قَدْ امْتَلَأَ أَوْ قَارَبَ ؟! .

وهَلَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ؟! ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنْ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) (٢) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٣) .

وتأمل ما جاء في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ : (كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ ؛ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْعَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ ؟! ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ .. مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ ؟! .. عَذِبَ قَوْمٍ بِالرِّيحِ ؛ وَقَدْ رَأَى قَوْمَ الْعَذَابِ ، فَقَالُوا : هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا) (٤) .

(١) سورة هود ، الآية : ١٠٢ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٠٩) ومسلم برقم (٢٥٨٣) .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٨ .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٥٥١) ومسلم برقم (٨٩٩) .

فإذا كان النبي ﷺ وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يبلغ منه الخوف من ربه عز وجل أنه إذا رأى سحابة عُرف في وجهه الكراهية مخافة أن تكون عذاباً من الله على الناس فما بالك بنا نحن وقد بلغ سيل ذنوبنا الزبي؟! .

وإنما معرفة النبي ﷺ بربه تعالى جعلته يخشاه كل هذه الخشية ، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وعدم معرفتنا بربنا هو ما جعلنا على هذه الحال السوء التي نرجو من الله أن لا يهلكنا بسببها ولا بما فعل السفهاء منا .

والله المستعان ، وعليه التُّكْلان ، ولا حول ولا قوة إلا به ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عبد الكريم بن صالح الحميد

بريدة - رمضان / ١٤٢٦هـ

الفهرس التفصيلي لحتويات الكتاب

الصفحة	المَوَاضوعات
٦ - ٣	المقدمة .. (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) .
٣	سبب تأليف الكتاب .
٤	المعنى العام للخوف .
٥	من ثمرات الخوف ومعانيه .
٥	قول الإمام الجنيد في الخوف .
٥	قول أبي حفص النيسابوري عن الخوف وثمراته .
٦	قول أبي سليمان الداراني عما يثمره رحيل الخوف عن القلب .
٦	قول ذي النون المصري عما يثمره رحيل الخوف عن القلب .
٦	قول شيخ الإسلام عن الخوف المحمود ؟ .
٨ - ٧	الفرق بين السلف والخلف في الخوف من الله تعالى .
٧	أسباب خوف السلف من الله تعالى واعتبارهم بما يجريه من الآيات .
٨	أسباب عدم خوف الناس اليوم من الله تعالى وعدم اعتبارهم بما يجريه من الآيات .
٨	ماذا قال ابن مسعود حينما زلزلت الكوفة ؟! .
٨	ما هو معنى استعجاب الله لعباده ؟! .
١٠ - ٩	من أسباب قسوة القلوب اليوم ، وفراغها من الخوف من الله عز وجل .
٩	قول ابن الجوزي عن الدنيا ، وأنه لا أحد يتصرف فيها سوى الله ، والتعليق على ذلك .
١٩ - ١١	الآيات والكوارث سببها الكفر والمعاصي ، والأدلة على ذلك .
١١	الأدلة من القرآن الكريم على أن ما يحدثه من الكوارث على الكفار والعصاة عقوبة .
١٢	ما حصل في جنوب أمريكا من إعصار مدمر يذكرنا بما أصاب الأمم الكافرة الماضية .
١٣	ذكر ما أخبر به تعالى مما دمر به قوم هود بما يشبه الإعصار الذي ضرب أمريكا .
١٣	ذكر ما أخبر به تعالى مما أغرق به قوم نوح بما يشبه الغرق الذي حل بأمريكا .
١٤	ذكر ما أصاب قبيلة (سبا) اليمنية لما كفرت بالله وبنعمته عليها .
١٥	ذكر ما قاله ابن القيم عن شوم الذنوب وأنها سبب في حصول الآيات والكوارث .
١٧	ذكر ما فعله أبو الدرداء - رضي الله عنه - لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها .
١٨	ذكر تحذير الله عباده من الذنوب وأن ما حل بالأمم السابقة من الآيات بسبب ذنوبهم .
١٩	هل سينفع الناس إحالتهم الكوارث والآيات لـ (الطبيعة) حينما تحل بهم ؟! .

التفكير والاعتبار

بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

الصفحة	الموضوعات
٣٢ - ٢٠	هل معرفة الأسباب الطبيعية لحدوث الكوارث ينافي بالخوف من الله ، وأنها عقاباً منه ؟
٢٠	السلف يعرفون السبب الطبيعي لحدوث الآيات والكوارث ولكنهم يخافون أيضاً .
٢٠	ذكر ما حصل لكثير من أهل الوقت لما علموا بالأسباب الطبيعية للآيات والكوارث ! .
٢١	القول بأن الفضاء لا حد له إنكار للسماوات السبع والرب الذي فوقها .
٢١	السبب الطبيعي لحدوث الزلازل .
٢١	السبب الكوني للكسوف والخسوف .
٢٢ - ٢١	هل العلم بوقت حدوث الحوادث الكونية ينافي أن يكون تخويفاً من الله ؟!
٢٢	قول الحسن البصري في تفسير قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) .
٢٣	هل العلم بوقت ولادة المخلوق ينافي أن الله تعالى هو الذي خلقه ؟!
٢٣	هل زرع النبات والعلم بوقت خروجه ينافي أن الله تعالى هو الذي خلقه ؟!
٢٣	معرفة الأسباب وأوقات انعقادها أجراه الله في الرحمة كما أجراه في العذاب والنقمة .
٢٤	اقتراح الحوادث الكونية بكسوف الشمس أو خسوف القمر .
٢٤	(حاشية) : الإعلام بالكسوف ليس من هدي أهل الإسلام .
٢٥	قل ما تسلم أطراف الأرض البعيدة عن الإسلام من الحوادث أثناء الكسوف والخسوف .
٢٥	أحاديث توضح أن حدوث الكسوف والخسوف مدعاة للخوف من الله عز وجل .
٢٦	ذكر ما فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كسفت الشمس في عهده ، وما قاله .
٢٦	ذكر أحاديث صحيحة توضح كيفية صلاة الكسوف والخسوف .
٢٧	تعليق على قول بعض الحسابين (الفلكيين) عن كسوف قادم بآته (كسوف جميل) .
٢٨	ذكر فرح الكفار حين حدوث الكسوف والخسوف .
٢٨	(حاشية) : أحاديث تبين أن هذه الأمة ستنتفع سنن أهل الكتاب .
٢٩	كلام جليل القدر لشيخ الإسلام بأن السبب الطبيعي لحدوث الكسوف لا ينافي بالخوف .
٢٩	كيف يكون الخوف من الله ، وما الذي يتضمنه التخويف منه سبحانه ؟!
٣٠	ذكر ما يستحب فعله حين حصول الكسوف والخسوف .
٣٠	يحصل كسوف الشمس دائماً في آخر الشهر ، وخسوف القمر في أوسطه .
٣١	كلام لابن تيمية بأن الريح التي أرسلها الله على عاد جاءت في موسم الشتاء .
٣١	(حاشية) : أدلة على أن الريح التي ضربت عاد كانت في الشتاء الذي تشد فيه الرياح .
٣٢	هل كون الأعاصير تأتي في موسم معروف تنافي أن تكون عذاباً وتخويفاً ؟!
٤٥ - ٣٣	ما هي حقيقة (الطبيعة) التي يُحال إليها ما يجريه الله من الآيات والكوارث ؟!
٣٣	إحالة الحوادث الكونية للطبيعة تعطيل وإحاد .
٣٣	ما هي الطبيعة عند الطنانيين والملاحدة وزنادقة الأطباء ؟!
٣٤	كلام نفيس للإمام الخطابي في تبين أوضح الدلائل على أن للخلق صانعاً ومديراً .
٣٥ - ٣٤	الكلام حول النطفة ، وما قاله الخطابي فيها ، وتعلق ذلك بموضوع الكتاب .
٣٦	الإمام الخطابي يعرض أربعة أمثلة تبين زيف (الطنانيين) وإحاد (الداروينيين) .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

١٣٠

الصفحة	الموضوعات
٣٨	ما هي نظرية (التصميم الذكي) الغربية التي تهدم نظرية (داروين) ؟ ! .
٣٩	هل نظرية (التصميم الذكي) توافق عقيدة المسلمين ؟ .
٣٨	إحالة لكتاب المؤلف (الفرقان في بيان إعجاز القرآن) فيما يتعلق بداروين وأمثاله .
٣٩	كلام نفيس لشيوخ الإسلام يبين غاية ما توصل إليه المتفلسفة وأتباعهم في الكونيات .
٤٠	الإمام ابن القيم يوضح ما هي الطبيعة التي يعتبرها الجاهل وراء الحوادث الكونية .
٤٠	كلام نفيس جداً لابن القيم في (الطبيعة) وتفاعلات عناصرها وأثارها .
٤٢	حال المؤمن مع هذه الحوادث هو تعلقه بمسببها ومسبب الأسباب سبحانه .
٤٢	كلام نفيس للإمام ابن القيم كأنه يصف به أهل هذا الزمان مع هذه الحوادث .
٤٣	السبب الطبيعي للزلازل وتعلقه بالسبب الشرعي لحدوثها .
٤٤	الانشغال بمقاييس (ريختر) حين حدوث الزلازل والغفلة عن الله علامة خذلان .
٤٤	أثر عظيم لعائشة - رضي الله عنها - في بيان السبب الشرعي لحدوث الزلازل .
٤٥	ذكر ما حصل لجبير بن مطعم حينما سمع قوله تعالى : (أم خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ...) .
٤٥	ذكر تفسير ابن كثير للآية ، والتعليق على ذلك .
٤٥	ماذا سيقول الطبايعيون لو قيل لهم : (إن عمارة بنت نفسها وسيارة كونت نفسها) ! .
٤٨ - ٤٦	بهذا الكنز العظيم تعرف بأن (الطبيعة) ليست مستقلة بذاتها .
٤٦	(حاشية) : نص حديث (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة .
٤٦	كلام نفيس لابن القيم عن معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) .
٤٧	كلام نفيس لشيوخ الإسلام عن معنى لفظ (الحول) و (القوة) .
٤٧	لماذا صارت (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنزاً من كنوز الجنة ؟ ! .
٤٨	ذكر ما يعقده قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) و (لا إله إلا الله) من معاهد التوحيد .
٥١ - ٤٩	ذكر الأشياء التي يحصل بها اليقين ، وأنواع التفكير والاعتبار .
٤٩	يحصل اليقين بتدبر القرآن ، وما يحدثه الله في الآفاق ، والعمل بموجب ذلك .
٥٠	ما هي الآيات المشهودة ؟ .
٥٠	النوع الأول من أنواع العظة والاعتبار : العظة بالمسموع .
٥٠	النوع الثاني من أنواع العظة والاعتبار : العظة بالمشهود .
١٠٧ - ٥٢	ذكر أكثر من (٤٠) حادثة تاريخية كبرى في القديم والحديث وما فيها من العظة .
٥٢	أسباب ذكر هذه الحوادث .
٥٣	من أحداث سنة (١٠٦٩ هـ) : طاعون البصرة الجارف ، وموت منات الآلاف .
٥٣	من أحداث سنة (١٢٢٦ هـ) : مطر ويرد كالبيض ، وصوت مجهول يجار إلى الله .
٥٤	من أحداث سنة (١٢٣٣ هـ) : زلزلة مهولة ومدمرة بدمشق .
٥٤	من أحداث سنة (١٢٤٠ هـ) : صيحة عظيمة من السماء ، وخسف بالمغرب .
٥٥	من أحداث سنة (١٢٤٢ هـ) : ١ - زلازل هائلة في جهة المشرق .
٥٥	من أحداث سنة (١٢٤٢ هـ) : ٢ - طائر بحلب يناشد الناس بتقوى الله .
٥٦	من أحداث سنة (١٣٠٤ هـ) : حيوان غريب يتسلط على الناس في بغداد .

التفكير والاعتبار

بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

الصفحة	المَوَاضوعات
٥٦	من أحداث سنة (٣٤٤ هـ) : زلزلة قوية تهز مصر ، وفزع الناس إلى الله .
٥٦	من أحداث سنة (٣٤٦ هـ) : نقص البحر ، وزلازل وخسوفات عظيمة في الشرق .
٥٧	من أحداث سنة (٤٢٥ هـ) : ١ - زلازل عظيمة في مصر والشام .
٥٧	من أحداث سنة (٤٢٥ هـ) : ٢ - إعصار مدمر (ريح سوداء) في العراق .
٥٨	من أحداث سنة (٤٣٤ هـ) : زلزلة عظيمة في ' تبريز ' الفارسية .
٥٨	من أحداث سنة (٤٤١ هـ) : سحابة مخيفة في العراق تنكشف بعد لجوء الناس لله .
٥٩	من أحداث سنة (٤٤٨ هـ) : وباء وغلاء يعم الدنيا كلها .
٥٩	من أحداث سنة (٤٤٩ هـ) : استمرار الوباء والغلاء ، وقصص مرعبة .
٦٢	من أحداث سنة (٤٥٥ هـ) : زلزلة عظيمة بواسط الشام ، ووباء بمصر .
٦٢	من أحداث سنة (٤٦٠ هـ) : زلزلة عظيمة بمصر وفلسطين .
٦٣	من أحداث سنة (٤٦٢ هـ) : وباء شديد بمصر ، وقصص مرعبة في ذلك .
٦٤	من أحداث سنة (٤٨٥ هـ) : برد عظيم في البصرة ، وريح قاصف أهلك النخيل .
٦٤	من أحداث سنة (٥٢٤ هـ) : زلزلة عظيمة بالعراق ، وعقارب طيارة ببغداد .
٦٥	من أحداث سنة (٥٣١ هـ) : كثرة موت الفجأة بأصبهان ، وسحاب أسود بالشام .
٦٥	من أحداث سنة (٥٣٣ هـ) : خسف عظيم بجنزة الفارسية ، وزلازل بحلب الشامية .
٦٦	من أحداث سنة (٥٤٤ هـ) : زلازل تهز الأرض ، وخلق يموتون بمرض قاتل .
٦٦	من أحداث سنة (٥٤٩ هـ) : ريح عظيمة تبيد قريتي المعلف وسحلة اليمينيتين .
٦٧	من أحداث سنة (٥٥٢ هـ) : زلازل هائلة تضرب الشام ، والناس يجارون إلى الله .
٦٨	- قصيدة مؤثرة في الزلازل الهائلة التي ضربت الشام .
٧٠	من أحداث سنة (٥٦٩ هـ) : سيل ويرد عظيم ببغداد ، والناس يجارون إلى الله .
٧٠	من أحداث سنة (٥٧٥ هـ) : زلزلة عظيمة تهز الأرض ، وتخلف دماراً هائلاً .
٧١	من أحداث سنة (٥٩٣ هـ) : ١ - انقضااض كوكب عظيم ، والناس يستغيثون بالله .
٧١	من أحداث سنة (٥٩٣ هـ) : ٢ - رياح عاتية بمصر ، والناس يعتصمون بالمساجد .
٧٢	- تعليق على الفرق بين المسلمين في الماضي واليوم حين حدوث الآيات والكوارث .
٧٤	- كلام نفيس لابن القيم في قوله تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُغْرَضِينَ ...) .
٧٤	من أحداث سنة (٥٩٦ هـ) : توقف نهر النيل وظهور غلاء مفرط وعظيم بمصر .
٧٥	من أحداث سنة (٥٩٧ هـ) : ١ - زلزلة عظمى تعم الدنيا .
٧٦	- خطبة بليغة حول الزلازل وأسبابها الشرعية .
٧٧	من أحداث سنة (٥٩٧ هـ) : ٢ - تطاير بعض النجوم ، والناس يضجون إلى الله .
٧٧	- تعليق على إرجاع الملاحدة والطبايعيين لتساقط بعض النجوم لأسباب طبيعية .
٧٨	- فائدة في بيان التوحيد العلمي والتوحيد العملي .
٧٩	من أحداث سنة (٦١٧ هـ) : غزو التتار لبلدان الإسلام وإحداثهم القتل والدمار .
٧٩	- المؤرخ الشهير ' ابن الأثير ' يصف هول الفاجعة بغزو التتار لبلاد الإسلام .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

١٣٢

الصفحة	الموضوعات
٨٢	من أحداث سنة (٦٥٤ هـ) : نار الحجاز التي ورد الحديث بذكرها .
٨٢	- نص الحديث الذي جاء فيه بأن نار الحجاز من أشراط الساعة ' الصغرى ' .
٨٢	- ذكر ما قاله النووي عن نار الحجاز ، وهو من المعاصرين لها .
٨٣	- ذكر نص رسالة تشرح بالتفصيل حادثة اندلاع نار الحجاز والفرق العظيم ببغداد .
٨٤	- ذكر ما حصل من الناس تجاه هذه النار الهائلة التي اندلعت في المدينة النبوية .
٨٥	- (فائدة) في أن العلم بحدوث كارثة ما ، لا ينفي الخوف منها حين وقوعها .
٨٥	- عودة إلى استكمال ذكر وصف الفاشاتي لنار الحجاز .
٨٦	- قصيدة جليلة القدر في وصف حادثة نار الحجاز الهائلة .
٨٧	- ماذا عسى أهل الوقت أن يقولوا ويفعلوا لو رأوا عقوبات الله على الأمم السابقة ؟!
٨٨	من أحداث سنة (٦٥٦ هـ) : غزو التتار لبغداد ووصف ما أحدثوه من القتل والدمار .
٨٨	- هل أمن الناس عقوبات الله وقد أجراها على من كان قبلهم ممن هم أقل ذنباً ؟!
٨٩	- إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم ! .
٩٢	من أحداث سنة (٧١٨ هـ) : غلاء وفناء شديدين في العراق وبلدان الشرق .
٩٣	من أحداث سنة (٧٢٥ هـ) : غرق مهول ببغداد ، والناس يستغيثون بالله .
٩٣	من أحداث سنة (٧٤٩ هـ) : ١- وباء وبلاء عظيم في غزوة وبلاد الإفرنج .
٩٤	- انتقال الوباء لدمشق ، وأهلها يستغيثون بالله ، وما حصل لهم بذلك .
٩٥	- خروج الناس من مختلف الديانات يوم جمعة وهم يستجيرون بالله .
٩٥	من أحداث سنة (٧٤٩ هـ) : ٢- إعصار مخيف وشديد يضرب دمشق وما حولها .
٩٦	من أحداث سنة (١١٨٧ هـ) : طاعون عظيم في بغداد والبصرة .
٩٦	من أحداث سنة (١٢٠٤ هـ) : سقوط برد عظيم في حريملاء ، والناس يجأرون لله .
٩٦	من أحداث سنة (١٢٤٧ هـ) : طاعون عظيم يعم العراق والكويت وما حولهما .
٩٨	- وقفة حول هذه الأحداث التي جرت في ديار الإسلام قديماً وحديثاً .
٩٨	- ما لم يتم ذكره هنا من الآيات والكوارث التي حلت بأهل الإسلام أكثر بكثير مما ذكر .
٩٩	من أحداث سنة (١٤٢٤ هـ) : زلزال مهول يضرب مدينة تابعة لبسم الإيرانية .
٩٩	من أحداث سنة (١٤٢٥ هـ) : طوفان سموه ' تسونامي ' يجتاح جنوب شرق آسيا .
٩٩	- الحال التي كان عليها الناس في الشواطئ قبل أن يجتاحهم البحر بأمواج كالجبال .
١٠٠	- وصف للطوفان البحري ' تسونامي ' ، وذكر عظم ما خلفه من القتل والدمار .
١٠٠	- ذكر ما أسفرت عنه الشواطئ الذي دمرها الطوفان بعد أن رجع البحر لحالته الطبيعية .
١٠١	- ذكر ما قاله بعض الخبراء الأمريكيين عن شدة هذا الطوفان البحري العظيم .
١٠٢	من أحداث سنة (١٤٢٦ هـ) : ١ - أعاصير مدمرة تضرب جنوب شرق أمريكا .
١٠٢	- ذكر ما قاله حاكم أحد الولايات التي ضربها الله بأعصار عظيم أسموه بـ ' كاترينا ' .
١٠٢	- ذكر أن الولاية التي دمرها الله كانت تنظم احتفالاً يجمع اللوطية والزناة من كل مكان .
١٠٣	- ذكر انتحار قريب من ٥٠٠ شرطي بعد مشاهدة ما خلفه الإعصار من الدمار بمدينتهم .
١٠٤	- ذكر حجم الخسائر في الأرواح والممتلكات والأموال التي خلفتها الأعاصير بإذن ربها .

التفكير والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

الصفحة	الموضوعات
١٠٤	- ذكر استفتاح الأمريكان على أنفسهم بمزيد من العذاب بالتنبؤ بمزيد من الكوارث .
١٠٥	من أحداث سنة (١٤٢٦ هـ) : ٢ - زلازل عظيمة تضرب باكستان وجنوب آسيا .
١٠٥	(٢٤) زلزالاً مدمراً يضرب العالم خلال (١٥) عاماً خلت فقط ! .
١٠٥	ذكر حديث تكاثر الزلازل في آخر الزمان .
١٠٥	وقوع أعاصير أمريكا وزلازل باكستان قبل وبعد الكسوف يؤكد كلام ابن القيم وشيخه .
١٠٦ و ٤٥	ذكر أن (قریشاً) كانت تخلص لله في الشدة بينما لأثر لهذا في هذا الزمان ! .
١٠٥	تسمية هذه العقوبات بأسماء مثل تسونامي وكاترينا وغيرها تشغل عن مسببها تعالى .
١٠٥	(حاشية) : بيان وجه الخطأ من تسمية اللواط والزنا بـ " الجنس " والتحذير من ذلك .
١٠٨ - ١١١	الفرق بين عقوبات الله على الكفار وبين عقوباته على المسلمين .
١٠٨	ذكر آيات قرآنية بأن ما أصاب الكفار إنما هو بسبب ذنوبهم .
١٠٨	ليس ما يعاقب الله به المسلمين مماثل لما يعاقب به الكفار ، بل هو أهون .
١٠٩	ما يعاقب الله به المسلمين فيه تكفير لسيناتهم ورفعاً لدرجاتهم .
١٠٩	ما يصيب الله به المسلمين من الكوارث فيه صلاح نفوسهم من الرجوع لله والتوبة إليه .
١٠٩	حديث صحيح يبين أن هذه الأمة أمة مرحومة وعذابها يكون في الدنيا بالزلازل والقتل ..
١٠٩	حديث عظيم لعائشة يبين أن هذه الكوارث عذاب على الكافرين وموعظة للمؤمنين .
١١٠	ليس للكفار المرة ولنا الحلوة إن سلكنا طريقهم ! .
١١١	بيان الفرق بين خشية الإنسان لله تعالى وبين خشية الجبال له سبحانه .
١١١	من لم تنفع به هذه الكوارث والآيات فأمامه الملين الأعظم (النار) - نعوذ بالله منها - .
١١٢ - ١٢٠	أسباب عدم حدوث العقوبات الكونية العامة على الناس اليوم مع كثرة معاصيهم ! .
١١٢	الإملاء والاستدراج أعظم أسباب تأخير العقوبات ، وآيات قرآنية تبين ذلك .
١١٣	معنى قوله تعالى : (سَنَسُدُّرْجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) .
١١٣	حديث عظيم يبين استدراج الله للعبد العاصي .
١١٤	كيف يمكن معرفة سر تأخر العقوبات مع كثرة المعاصي والإعراض عن الله ؟ ! .
١١٥	أمران يختلف بهما الناس اليوم عن أسلافهم في التأثير بالآيات والعقوبات .
١١٦	سببان مهمان من أسباب تأخر العقوبات .
١١٦	معنى قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .
١١٦	السبب الأول : عقوبة الذنب الذنب بعده حتى يموت القلب ولا ملين له سوى النار .
١١٧	السبب الثاني : قرب يوم القيامة الذي يعاقب فيه المسيء إلا من رحم الله .
١١٨	رؤيا عظيمة لامرأة صالحة تبين سبب تأخر العقوبات مع كثرة المعاصي .
١١٨	بشر المحاربين لله ممن أفلت من عقاب الدنيا بأن الساعة أدهى وأمر ! .
١١٩	معنى الأجل المسمى في قوله تعالى : (وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) .
١١٩	من أفلت من عقاب الدنيا فلن يفلت من الموت المحتوم الذي سيسوقه لربه تعالى .
١١٩	قصيدة مؤثرة حول الدنيا والموت والدار الآخرة .

التفكير والاعتبار
بآيات الكسوف والزلازل والإعصار

١٣٤

الصفحة	المَوَاضِعَات
١٢٢ - ١٢١	جواب مَنْ قال بأن الزلازل وغيرها لو كانت عذاباً لَمَا حدثت في مواضع خالية من الناس .
١٢٢	أقدارُ الربِّ الحكيم سبحانه سابقة في كتابه مقارنةً لعلمه .
١٢٢	ما يحدث من الزلازل في الأماكن الخالية من البشر إذن من الله للأرض للتنفس .
١٢٧ - ١٢٣	خاتمة الكتاب .
١٢٣	رؤيا بليغة لرجل من أصبهان ! .
١٢٤	قصة لرجل من بني إسرائيل أخذه الله حينما تمادى في غيه وامتلاً صاعه بالذنوب ! .
١٢٦	إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .
١٢٦	ذكر حال النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما يرى ريحاً أو غيماً .
١٢٧	مَنْ كان بالله أعرف كان منه أخوف .
١٣٤ - ١٢٩	الفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مطابع الجمعة الالكترونية
هاتف ٤٩٥٥٤٤٤ / ٤٩٥٣٨١٠

في هذا الكتاب

- من أسباب قسوة القلوب اليوم . وفراغها من الخوف من الله عز وجل .
- الآيات والكوارث سببها الكفر والمعاصي . والأدلة على ذلك .
- هل معرفة الأسباب الطبيعية لحدوث الكوارث ينافي الخوف من الله . وأنها عذاباً وعقاباً منه ؟!
- ما هي حقيقة (الطبيعة) التي يُحال إليها ما يجريه الله من الآيات والكوارث ؟!
- بهذا الكنز العظيم تعرف بأن (الطبيعة) ليست مستقلة بذاتها .
- من حوادث عام (٥٩٧ هـ) : زلازل عظمى تعم الدنيا . وتساقط مهيب للنجوم .
- من حوادث عام (٦١٧ هـ) : دخول التتار ديار الإسلام وذكر ما صنعه فيه من الدمار والإجرام .
- من حوادث عام (٦٥٦ هـ) : دخول التتار (بغداد) ووصف ما أحدثوه فيها من القتل والدمار .
- من حوادث عام (١٢٤٧ هـ) : طاعون عظيم يعم (العراق) و (الكويت) وما حولهما .
- من حوادث عام (١٤٢٤ هـ) : طوفان سموه ب (تسونامي) يجتاح بأمواج كالجبال جنوب شرق آسيا .
- من حوادث عام (١٤٢٥ هـ) : زلازل مهول يهز مدينة تابعة لـ (بـم) الإيرانية .
- من حوادث عام (١٤٢٦ هـ) : إعصار مدمر يضرب جنوب شرق (أمريكا) .
- من حوادث عام (١٤٢٦ هـ) : زلازل مدمرة تضرب (باكستان) وجنوب آسيا .
- الفرق بين عقوبات الله على الكفار وبين عقوباته على للمسلمين .
- أسباب عدم حدوث العقوبات الكونية العامة على الناس اليوم لكثرة معاصيهم مع حصولها على أسلافهم مع قلة ذنوبهم .
- الرد على شبهة : (لو كانت الزلازل والأعاصير وغيرها عذاباً لَمَا حدثت في مواضع خالية من الناس) .